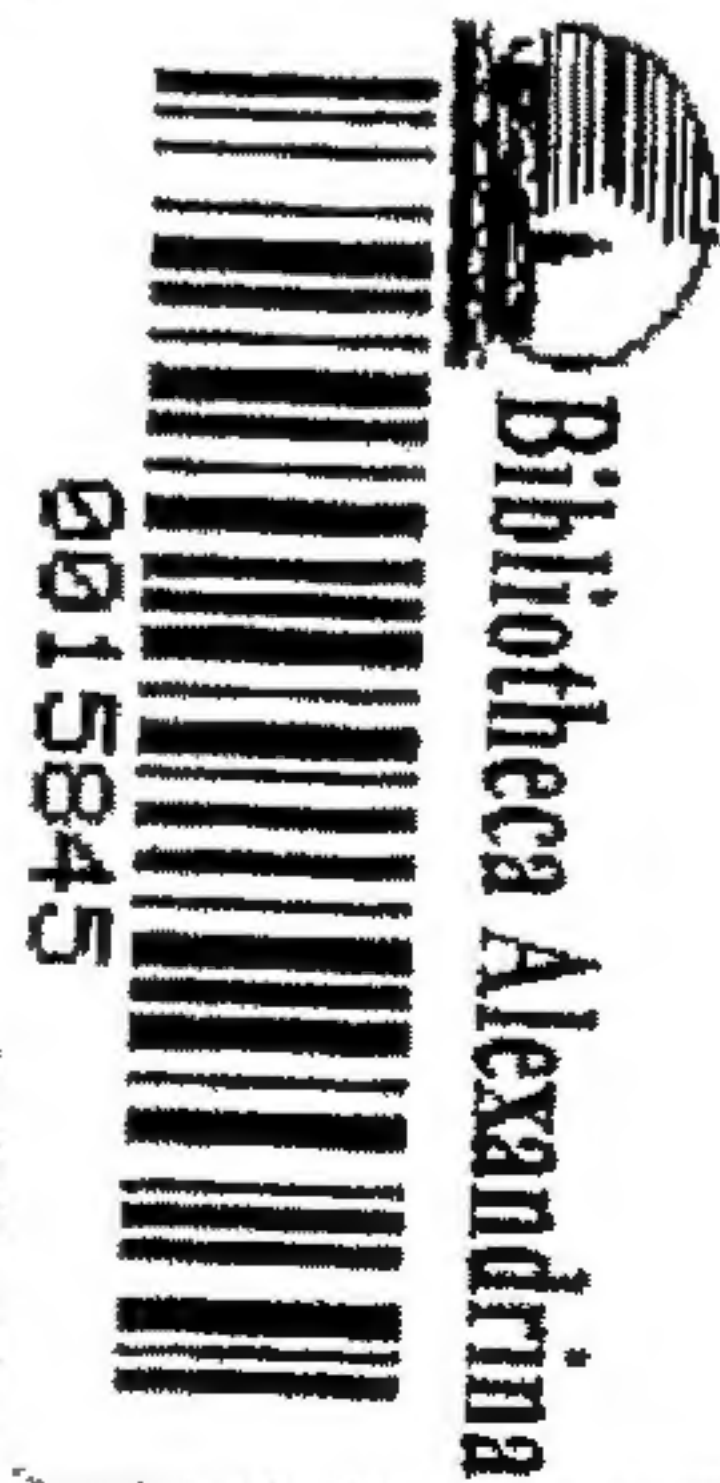


الشيخ: محمد مفتاح قريو

معارك الجهاد

التي وقعت في مصراته زمن الحروب الإيطالية



96

الدار المصرية للنشر والتوزيع والإعلان

الشيخ: محمد مفتاح قريو

معارف البحار

التي وقعت في مصراة زمن الحروب الإيطالية



General Organization of the Alexandria Library (GOAL) الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	٥١٠ / ١٢٠
رقم التسجيل	١٢٠ / ١٢٠

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

التعليم، الصحة، الطاقة، الزراعة

معارفنا بجهدار

التعليم، الصحة، الطاقة، الزراعة

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراته - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
ص.ب 17459 مبرق (تلكس) 30098 مطبوعات



الطبعة الاولى 1403 و.ر 1994 م

رقم الإيداع 1525 - 1994 م - دار الكتب الوطنية - بنغازي

حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناسر

الإهداء

— إلى شهدائنا الأبرار الذين سقطوا في ساحة
الشرف وارتوت الأرض بدمائهم دفاعاً عن الدين
والوطن.

— إلى كل قاريء متعطش إلى معرفة تاريخ
ونضال وبطولات شعبنا العظيم.

— إلى كافة المناضلين المخلصين من أجل الدين
والحرية والوطن.

أهدي هذا العمل المتواضع

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ
أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا
آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ
لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ
اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

صدق الله العظيم

وَقَائِعُ الْحَرْبِ الَّتِي قَامَتْ بِهَا
بِضْرَاتُهُ لَدَى الْجِهَادِ وَحَدَهَا

وَتَعْدَهَا قَصَائِدُ الْجِهَادِ مِنْ
أَبْنَاءِ لَيْيَا عُمُومًا يَأْفِكُنْ

وَتَعْدَهَا قَصِيدَةُ الْمُحَاوَلَةِ
مِنْ دَوْلِ الْغَرْبِ لِتَسِيرِ الْقَافِلَةِ

وَتَعْدَهَا قَصِيدَةُ التَّرْغِيبِ
فِي وَحْدَةِ الْغَرْبِ بِدُونِ رَيْبِ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول أفقر العباد إلى العلي القدير، محمد مفتاح قُربو ذو العجز والتقصير، قد أرسل إليّ بعض الإخوان رسولاً كلمني مشافهة، فقال - لي - إن أخاك فلاناً يقرئك السلام، ويلتمس منك إن أمكن بيان الوقائع الحربية التي وقعت بين العرب والطلليان في مصراته أوان الغزو الإيطالي لليبياء، على سبيل الاختصار؛ للاستعانة به على إقامة ذكرياتها، والله يوفق الجميع لما فيه الخير.

فأجبتة على حسب ما عرفته منها بالاستقراء والتتبع والدراسة لها، بأن الوقائع الحربية التي وقعت بين العرب والطلليان في مصراته أوان الغزو الإيطالي لليبياء، قد تنوعت إلى ثلاث مراحل، فهاكم مني بيانها على الترتيب؛ لتسلموا من الغلط والتخليط.

المرحلة الأولى

قد قُتحت أبوابها من نزول الطليان في مدينتي
طرابلس والخمس في أوائل شوال سنة 1329 هـ
الموافق لأوائل أكتوبر سنة 1911 م.

وزادت في الاتساع بنزول الطليان في (قصر
حمد) بمصراتة في أوائل رجب سنة 1330 هـ
الموافق لأواخر يونيو سنة 1912 م، وانتهت بالصلح
الأول الذي وقع بين الترك والطليان في أوشي
أسويسره.

وقد أخذ الحرب في هذه المرحلة دوراً كبيراً،
ووقعت منه في مصراته عدة معارك حربية دامية،
اشتهر منها أربع معارك كبار.

الأولى: واقعة يوم احتلال المواطنين

والمراد بالمواطنين: مدينة مصراته، وإنما اشتهرت بهذا الاسم؛ لأن مدينة مصراته تسمى عند جميع أهالي مصراته بالمواطنين.

وقد وقعت هذه الواقعة يوم 8 وقيل يوم 9 يوليو سنة 1912م، وكان وقوعها في السبخة التي بين قصر حمد، وقرية الشوارن، والروس، ورأس البرج.

وسبب وقوعها أن الطليان لما أرادوا احتلال مصراته جاءوا إليها على حين غفلة من أهلها بعد أن علموا أن رجالها بعضهم يجاهد مع المجاهدين، ويقا تل مع المقاتلين في طرابلس، وبعضهم الآخر يجاهد مع المجاهدين ويقا تل مع المقاتلين في الخمس، ومع ذلك لم يفاجئوها إلا ليلاً، ولذلك تمكنوا من الوصول إلى شاطئ بحر ها، ونزلوا فيها على ميناء قصر حمد قبل يوم احتلال مديتها بثلاثة وعشرين يوماً.

وقد بلغ خبر نزولهم جميع جهات مصراته وسكانها بسرعة تشبه سرعة التيار الكهربائي، فبادر رجالها الموجودون للجهاد في سبيل الله والوطن، وجاءوا لقصر لحمد ووقفوا أمام جيش العدو كالبنيان المرصوص، وانضم إليهم كل من كان في طرابلس وفي الخمس، بأمر من القائد العام نشأت بك التركي، وأتاب عنه في قيادتهم السيد حسن بك الشريف المصراتي.

وبينما هم يفكرون في خطة الهجوم على العدو، وإذا به قد فاجأهم بالخروج عليهم فجر يوم 8 وقيل يوم 9 يوليو سنة 1912م؛ لاحتلال المواطنين في صفة تشبه الكمأشة.

الأولى: واقعة يوم احتلال المواطنين

والمراد بالمواطنين: مدينة مصراته، وإنما اشتهرت بهذا الاسم؛ لأن مدينة مصراته تسمى عند جميع أهالي مصراته بالمواطنين.

وقد وقعت هذه الواقعة يوم 8 وقيل يوم 9 يوليو سنة 1912م، وكان وقوعها في السبخة التي بين قصر حمد، وقرية الشوارن، والروس، ورأس البرج.

وسبب وقوعها أن الطليان لما أرادوا احتلال مصراته جاءوا إليها على حين غفلة من أهلها بعد أن علموا أن رجالها بعضهم يجاهد مع المجاهدين، ويقا تل مع المقاتلين في طرابلس، وبعضهم الآخر يجاهد مع المجاهدين ويقا تل مع المقاتلين في الخمس، ومع ذلك لم يفاجئوها إلا ليلاً، ولذلك تمكنوا من الوصول إلى شاطئ بحرهما، ونزلوا فيها على ميناء قصر حمد قبل يوم احتلال مدينتها بثلاثة وعشرين يوماً.

وقد بلغ خبر نزولهم جميع جهات مصراته وسكانها بسرعة تشبه سرعة التيار الكهربائي، فبادر رجالها الموجودون للجهاد في سبيل الله والوطن، وجاءوا لقصر لحمد ووقفوا أمام جيش العدو كالبنيان المرصوص، وانضم إليهم كل من كان في طرابلس وفي الخمس، بأمر من القائد العام نشأت بك التركي، وأتاب عنه في قيادتهم السيد حسن بك الشريف المصراتي.

وبينما هم يفكرون في خطة الهجوم على العدو، وإذا به قد فاجأهم بالخروج عليهم فجر يوم 8 وقيل يوم 9 يوليو سنة 1912م؛ لاحتلال المواطنين في صفة تشبه الكماشة.

فقد خرج قسم من جيشه على المجاهدين من جهة الميناء وقصر حمد، واشتبك مع المجاهدين في قتال عنيف، وخرج قسم آخر من جيشه على قرية الوشيك التي شرقي أبي شعيقة، وامتد مع السبخة التي تقع في الجنوب الغربي من قرية الوشيك، حتى توغل فيها، وأراد بذلك أن يجعل جيشه شبه كُماشة تنطبق على المجاهدين من الأمام والخلف، ولكن أطلع المجاهدون على هذه الخطة، فانسحب جناحهم الشمالي إلى قرية الملائطة، وقرية الشوارن، وجناحهم الجنوبي إلى قرية الروس، وبَلَّالَة وتربصوا للطلليان حتى وصلوا إلى السبخة التي بين قصر حمد والمواقع المذكورة، فعند ذلك أطلقوا على جيش العدو الرصاص، ووقعت بين الفريقين معركة حامية الوطيس، دامت من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الجادية عشرة، ثم تكاثر جيش الطليان كثرة هائلة، وامتد مع السبخة لجهة الجنوب إلى مسافة بعيدة، فخشى المجاهدون أن يجعلوا لهم خطة شبه الكماشة مرة أخرى، فانسحبوا أمام جيش العدو ببطء مع استمرار إطلاق النار بين الطرفين، وصار جيش الطليان يتقدم ويحتل، فاحتل الزروق عند تمام الساعة الثانية عشرة، ثم واصل سيره وتقدمه إلى أن وصل مدينة مصراتة المواطنين واحتلها عند تمام الساعة الثالثة بعد نصف النهار من ذلك اليوم.

ووصل المجاهدون المقاتلون إلى منازل المقاصبة، وأولاد أبي شعالة جنوبي المواطنين، وإلى منازل أولاد أبعيو غربي المواطنين، واستقروا هناك في المواقع الثلاثة، وجعلوها مراكز لخط القتال، وانتقل مركز المجاهدين العام إلى كرزاز، وانقلت الحكومة المحلية إلى منازل الدرادقة في الغيران، وانتقل جميع أهالي مصراتة الشرقية إلى أرض جيمي والكراريم، ودونهم مركز المجاهدين في كرزاز،

وانتقل جميع أهالي مصراته الغربية إلى أرض فلاجة وعبد الرؤوف،
ودبّهم الحكومة المحلية في الغيران.

وقد استشهد في ذلك اليوم من مصراته نحو ثلاثمائة شهيد،
مائتان من المجاهدين، منهم الفارس المشهور الشيخ حسن أبو
سدر، ومائة من المدنيين، وأصيب عدد من المجاهدين بجراح منهم
رمضان بك السويحلي، بعد أن أدوا ضريبة الجهاد لله والوطن، وقد
رجحت فيه كفة انتصار العدو باحتلال المدينة.

الثانية: واقعة الرميّة

تصغير رملة، ويقال لها - أيضاً - رملة الصوالح، وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأن جيش الطليان لم يهزم في ذلك اليوم إلا بعد أن وصل إلى رملة الصوالح.

وسبب هذه الواقعة أن الطليان استفزتهم نشوة انتصارهم يوم 8 يوليو، واستضعفوا شأن العرب، وزعموا أن الفرصة قد سنحت لهم لإتمام السيطرة على جميع أراضي مصراته، وفهموا من جواسيسهم أن جميع أهالي مصراته بعضهم في فلاجة وعبد الرؤف، ودونهم الحكومة المحلية في الغيران، وبعضهم الآخر في الكراريم وجيمي، ودونهم مركز المجاهدين العام في كرزاز، ورأوا أن مركز الحكومة المحلية أضعف من مركز المجاهدين، وأنهم إذا احتلوا مركز الحكومة، ومن وراءه من الأهالي، يسهل عليهم بعد ذلك احتلال مركز المجاهدين، ومن وراءه من الأهالي أيضاً، فلذلك جهزوا أنفسهم لتنفيذ هذه الخطة.

وخرجوا صبيحة يوم 20 يوليو سنة 1912م على المجاهدين في المقاصبة، وأولاد أبي شعالة، وأولاد ابعيو، وحصل بينهم وبين المجاهدين تبادل إطلاق النار، وصار جيش العدو يتدفق بكثرة مدهشة، وضيق على المجاهدين في جهة أولاد ابعيو تضيقاً شديداً، وامتد في الجهة الغربية حتى وصل إلى ضريح الحاج مسعود مع الطريق التي تخرج على شارع المحلة، ولهم أصوات مرتفعة يقولون - فيها - (غيران، فلاجة).

فهم المجاهدون أنهم يريدون الغيران وفلاجة، وأنهم تكاثروا

كثرة لا يمكن معها صدهم، فشرعوا في الانسحاب أمامهم ببطء مع تبادل إطلاق النار بينهم وبين جيش الطليان.

وطُير الخبر إلى مركز المجاهدين العام في كرزاز، فجاء جميع المجاهدين الاحتياطيين، إلى أن وصلوا أرض الخروبة، ورميلة الصوالح اللتين بينهما وبين مدينة المواطنين مسافة خمسة كيلومترات في الجنوب الغربي.

وكنوا في قوز المدني، وقوز الكوشة، وزيتون الجابرية، وكدية العصامنة، وترك الفلاحون مزارعهم وجاءوا من رأس الماجن والغيران، ودخلة سيدي مبارك، وزاوية المحجوب، وفي أيديهم المناجل والفؤوس، وتجمعوا وراء المجاهدين في سواني التومي والجابرية والعصامنة، إلى أن وصل المجاهدون المنسحبون أمام جيش الطليان إلى الكامنين، وخرج الطليان من قرية المدني، وأولاد سيدي فتح الله، وأولاد سيدي صالح، ودخلوا في حمادة الخروبة، ورميلة الصوالح، وكلتاها أرض عارية ليس فيها شجر ولا حجر ولا بناء يتقي به، وانتشر ذلك الجيش فيهما، حتى صار على مقربة من المجاهدين الكامنين.

فعند ذلك أمطروهم المجاهدون بوابل من الرصاص، وصاروا يتساقطون مثل رطب النخيل من العراجين إذا هزها إنسان بقوة، ومع ذلك حاول الطليان التقدم، ولكنهم وجدوا الرصاص ينهال عليهم من الجهة القبليّة، والجهة الجنوبيّة، والجهة الغربيّة بكثرة مدهشة، وكثر تساقطهم من الرصاص كثرة هائلة، وكثر التكبير من المجاهدين، والمهاجاة بالأراجيز من الفلاحين، والزغاريد من النساء.

ومن أراجيز الفلاحين - في ذلك اليوم -:

هَيَّا هَيَّا يَا قُرْسَانُ

الْيَوْمُ عَلَى جَيْشِ الطَّلِيَّانِ • رَاهُمْ جُسُوكُمْ لِلْجِيْشِ سَانُ

، وصارت مع ذلك ضجة لها ذَوِيٌّ صاعد في الجو من سواني
الغيران القبلية، وسواني الجابرية، وسواني العصامنة، وقوز
العبيدات.

واسترسل الرصاص على جيشِ الطليان، حتى صار يحصدهم
حصد الهشيم، فعند ذلك ارتعبوا، وخارت قواهم، وولوا الأدبار،
وانهزموا، وركب المجاهدون أقتيتهم، وصاروا يمطرونهم من الأدبار
بأشاييب من نار، ولم يتركوا مطاردتهم حتى دخلوا مدينة المواطنين،
واحتموا بجدرانها.

ورجع المجاهدون إلى مراكزهم في المقاصبة وأولاد أبي شعالة
وأولاد ابعيو قبل الليل.

وبقيت جثث الطليان مبعثرة في رميلة الصوالح، وحمادة
الخروبة، والمسافة التي بينهما وبين مدينة المواطنين، كالغنم المنتشرة
في المرعى، وهي مسافة لا تقل عن خمسة كيلومترات، طولاً، وثلاثة
كيلومترات عرضاً.

وكانت هزيمة الطليان في واقعة الرميلة من أكبر الهزائم،
وخسارتهم فيها من أفدح الخسائر في العتاد والذوات معاً.

ولذلك قال الطالب الزجال محمد بن حمد الفرطاسي في واقعة
الرميلة هذه:

يَسُومُ اَرْمِيْلَةَ بِيْئِدِي صَالِحٍ يَسُومُ عَسِيبُ عَلَى الطَّلِيَّانِ

خَبَرَ جَ صَائِلُ يَمْشِي وَيَنْبِغُ يَبْغِي يَحْتَـسِلُ الْغِيـرَانُ
حَسَبَ نَفْسَهُ مَنصُورٌ وَنَاجِعٌ ظَافِرٌ بِحُكُومَةٍ وَعُرْبَانُ
لَكِنْ حَصْلُ قَوْمٍ جَوَائِحُ خَلُّ لِهْ جَيْشِه طُشَانُ

وقال محمد بن مسعود افشكة - في تاريخ رمضان السويحلي -
«ووجد الطليان أن خسائرهم كانت جسيمة، وأيقنوا استحالة صمودهم
أمام ضراوة العرب في الكفاح، فلاذوا بالفرار والتقهقر نحو المواطنين،
وعلى الرغم من حرصهم على نقل جثث قتلاهم، ولا سيما من
البيض، لكي لا ترتفع برؤيتها معنويات المجاهدين، فإنه مع ذلك
لسرعة انسحابهم قد تركوا قسماً عظيماً منها، وخاصة من جثث
المرتزقة الأحباش، التي كانت تغطي حمادة الصوالح وطرايشهم
الطويلة الحمراء منتشرة هنا وهناك»⁽¹⁾ إهـ.

وبالجملة فقد منى الطليان في واقعة الرميلة بهزيمة من أكبر
الهزائم، وخسارة من أفدح الخسائر، فقد هلك فيها من جيشهم
مائتا ألف جندي، مع أن المجاهدين لم يصب منهم إلا نحو مائة
رجل ما بين شهيد وجريح.

ومن الشهداء - في ذلك اليوم - أحد فرسان المجاهدين الحاج
أحمد بن معيوف.

وقد قال - لي - كثير من المجاهدين - الذين حضروا واقعة
الرميلة هذه - إنها من خوارق العادات بالنسبة لما وقع فيها، وأخبرني
بعضهم بأنه شاهد أشخاصاً يقاتلون، وأشخاصاً آخرين يوزعون
الخرطوش على المجاهدين، وأوصافهم تخالف أوصاف البشر.

(1) ص 62.

ولم أصدق في ذلك إلا بعد أن ذكره لي شخصان، كانا من
أصدق الناس عندي، أحدهما محمد بن سليمان أبي شحمة، والثاني
عمر بن مادي من قبيلة الرملة.

الثالثة: واقعة يوم الشبيط

والمراد بالشبيط: الأسلاك الشائكة؛ لأن الطليان لما احتلوا مدينة المواطنين أحاطوها بسور من تراب وأخشاب، وربطوها بالأسلاك الشائكة، وسموا ذلك السور: (الكردون) باللغة الإيطالية، والأسلاك الشائكة - في لغة الليبين العرفية - تسمى الشبيط على وزن (جُميز).

وإنما اشتهرت هذه الواقعة بهذا الاسم لأن الشبيط أعان المجاهدين في ذلك اليوم.

وسببها أن واقعة الرميلة أثرت على نفوس الطليان تأثيراً قوياً، حتى جُنَّ جنونهم، واشتد غضبهم على أهالي مصراتة، وأرادوا الانتقام منهم؛ ولذلك عجلوا بإعادة الكرة.

ففي فجر يوم 26 يوليو سنة 1912م هجموا على المجاهدين في المقاصبة وأولاد أبي شعالة وأولاد ابعيو، ووقع بينهم وبين المجاهدين قتال عنيف، وتكاثر جيش الطليان كثرة موحشة، وضيقوا على المجاهدين حتى كادوا يختلطون بهم، لا سيما في جرف المقاصبة؛ فعند ذلك انسحب المجاهدون أمامهم، واحتل جيش الطليان مراكز المجاهدين، وأقاموا خط قتال أمام تلك المراكز، وأحجموا عن التقدم؛ لأنهم خافوا أن يصيبهم مثل ما أصابهم يوم الرميلة.

ووصل المجاهدون المنسحبون في الجناح الغربي إلى قرية الجراكسة وقرية سيدي بن عمران، وفي الجناح الشرقي إلى قرية العوامر وقرية الزوابي، واستمر القتال بين الطرفين، وطير الخبر إلى

مركز المجاهدين العام في كرزاز؛ فجاء المجاهدون الاحتياطيون، وكمنوا لهم في الخروبة، ورميلة الصوالح مدة، حتى أيقنوا بأن الطليان قد أحجموا عن التقدم بعد أن احتلوا مراكز المجاهدين؛ فعند ذلك غادروا المكان، وساروا إلى أن وصلوا إلى المجاهدين، الذين هم في خط القتال، واشتركوا معهم في إطلاق الرصاص على العدو. وفكر المجاهدون في الخطة فتبين لهم أنهم إن لم يردوا مراكزهم من الطليان قبل الليل، فسيحكم عليهم الطليان بالهزيمة، ويصبح هاجماً عليهم في الأماكن التي هم فيها، وهكذا بالتدريج حتى يحتل جميع البلاد؛ فلذلك صبروا حتى جاءت الساعة الخامسة بعد نصف النهار، وصارت وجوه المجاهدين مقابلة للظل، ووجوه الطليان مقابلة للشمس، وتسلب عليهم حران، حمر الشمس وحر الرصاص.

فعند ذلك نشط المجاهدون في القتال، وضيقوا على الطليان بالزحف نحوهم، وكثر منهم التكبير والمهاجاة بالأصوات العالية، حتى دنوا من العدو، ثم حملوا على الطليان حملة رجل واحد، بشجاعة وبسالة، وعنفة وقوة، والتحموا معه حتى وقع بينهم التطاغن بالخناجر؛ فعند ذلك انهار جيش العدو، وولوا مدبرين، فارين إلى مدينة المواطنين، وتسلب عليهم المجاهدون بالمطاردة، وصاروا يضربونهم بالرصاص من الخلف بلا هوادة، حتى وصل جيش الطليان إلى السور الذي جعلوه على المدينة، ولشدة خوفهم وارتعابهم من المجاهدين، لم يهتدوا إلى الأبواب المجمعولة فيه، ولم يصبروا حتى يرجعوا إليها من مطاردة المجاهدين لهم، بل ارتمى كثيرون منهم على السور، وأرادوا أن يجتاحوه فأمسكتهم الأسلاك الشائكة، وصاروا يعانون التخلص منها حتى لحقهم المجاهدون بالرصاص وقتلوه.

ولذلك سميت بواقعة يوم الشيط، وبعض أهالي مصراتة يسميها بواقعة جرف المقاصبة.

ولكن لما اجتمعت بالطالب الزجال علي بن حسن المقصبي - في حال حياته - وتذاكرنا على الوقائع الحربية في مصراتة - قلت له: إن الواقعة التي هجم فيها الطليان على المجاهدين بعد واقعة الرميلة بخمسة أيام، سماها بعض الناس بواقعة جرف المقاصبة.

فقال: واقعة جرف المقاصبة وقعت بعد هذه الواقعة بنحو ثلاث سنين؛ لأنها وقعت في عهد رمضان السويحلي، بعد رجوعه من القرضابية، وأما هذه فلم يقع في الجرف إلا بعض منها في أول النهار.

ثم قال: وأنا سميتها بواقعة يوم الشيط، وأنشأ يقول:

يَوْمَ الشُّيْطِ الْمَشْهُورِ * إِلَيَّ فِيهِ الطُّلِيَانُ هَجَمَ
بَغَى ائْرُذُ الثَّارَ عَلَى الْفُورِ * جَا يَوْمَ عَلَيْهِ امْظَلَمَ
فِيهِ رَاحُوا دُخَانَ سُحُورِ * وَيَبَاقِيهِمْ وَلُّوا بِأَلْهَمَ
جَاضُوا فِي شُيْطِ السُّسُورِ * وَمَاتُوا بِرَضَاضِ امْسَمَمَ

وبعد أن هزمهم المجاهدون وطردهم وردوهم إلى معقلهم في المواطنين، رجع المجاهدون إلى مراكزهم في المقاصبة وأولاد أبي شعالة وأولاد ابيو قبل الليل ظافرين بالنصر، ولكن بعد مشقة وكدر، حيث هجموا على العدو آخر النهار بشجاعة كاملة، وبسالة نادرة، وقوة عارمة، هجوماً كان سبباً في هزيمة العدو ودحره ورد كيده في نحره، فقد مني في هذه الواقعة بخسارة فادحة في العتاد والذوات أيضاً، حيث هلك فيها من جيشه ما يناهز خمسمائة جندي، فقد

أصيب فيها بكف قوي على وجهه الممتلىء غيظاً، ورجع مطاطناً رأسه، مذموماً مدحوراً.

وصار ينزعج من العرب في النوم، وقد استشهد فيها من المجاهدين نحو مائة شهيد، وأصيب نحو مائة وخمسين منهم بجراح، وأبلى جميع المجاهدين فيها بلاء حسناً سجله لهم التاريخ بمداد من نور.

وبعد واقعة الشبيط هذه عجز الطليان في مصراته، وترك الهجوم عليها، وصار يخاف من هجومها عليه، وبقي محصوراً في قصر حمد والمواطنين، وليس بينهما إلا مسافة عشرة كيلومترات، وفي نقطة الزروق وهي تقع في نصف المسافة التي بين قصر حمد ومدينة المواطنين، إلى أن وقع الصلح الأول المسمى بصلح أوشى.

الرابعة: واقعة رأس بوغولة

وإنما اشتهرت بهذا الاسم؛ لأنها وقعت في رأس يسمى رأس أبي غولة، جنوبي الزروق، وهو معروف ومشهور عند أهل تلك الجهة.

وسببها أن الطليان اشتد خوفهم من العرب بعد واقعة الرملة وواقعة يوم الشبيط، حتى صارت دورياتهم، وجماعات جيشهم إذا رأوا دورية أو جماعة من العرب يتجولون اختفوا عنهم بالأشجار والأبنية، أو سقطوا إلى الأرض على بطونهم حتى ينصرف العرب من تلك الجهة.

ونظراً إلى أن الجهة التي تقع غربي قصر حمد وجنوبي الزروق وشرقي المواطنين أكثرها سبخة خالية من السكان، لم يجعل المجاهدون فيها خطاً حربياً، وإنما يأتون إليها على سبيل التجول والاستطلاع على حركات العدو لا غير.

فشعر بذلك العدو، وصار يخاف أن يهجم العرب عليه منها، فجعل طلائع ثلاثة تطلع يومياً للمراقبة، طليعة من قصر حمد، وطلليعة من الزروق، وطلليعة من المواطنين، وكل طليعة تسير حتى تصل إلى الرأس المذكور، وكل من يصل إليه يترل عنده حتى تجتمع عليه الطلائع الثلاثة، فعند ذلك يعطون المعلومات لبعضهم، ويراقبون تحركات العرب في تلك الجهة، ثم ترجع كل طليعة إلى المكان الذي خرجت منه.

فَبَيَّتَهُمْ (محمد هب الريح الرمي)، وَصَنَّمَ عَلَى الْمَجُومِ عَلَيْهِم

فأخذ معه أربعين رجلاً مسلحين ببنادق الموزر، وأتى بهم في صباح يوم 7 أغسطس سنة 1912م إلى قرب الرأس المذكور، وكمنوا لهم وراء جسر من تراب، يقال له الطابية في لغة ليبيا العرفية، ومكثوا في أمكنتهم حتى جاءت تلك الطلائع، واجتمعت على الرأس المذكور، فعند ذلك أطلقوا عليهم الرصاص، فقتلوا منهم أحد عشر، وفرَّ واحد، والتجأ ثلاثة منهم إلى خرابة منزل قديم، فاتقوا به وصاروا يدافعون عن أنفسهم، وعن الأموات الذين قتلوا، إلى أن وصل من فرَّ إلى نقطة الزروق، وأخبر بما وقع، فخرجت نجدة من الزروق وجاءت إليهم بسرعة، وانضمت إلى الموجودين في الخرابة، وصارت تقاتل معهم.

وطُير الخبر إلى مركز المجاهدين في كرزاز، فجاءت نجدة من المجاهدين الاحتياطيين إلى أن وصلت إلى ذلك المكان، وانضمت إلى المجاهدين المقاتلين.

وجاءت إلى الطليان نجدة أخرى من قصر حمد، وانقلب الأمر إلى معركة حامية الوطيس، دامت نحو خمس ساعات، وانتهت قرب الاصفرار بهزيمة الطليان، وفرار من بقي منهم حياً إلى نقطة الزروق، ولم يطاردهم المجاهدون، بل اشتعلوا بأخذ بنادق الموتى وأسلابهم، وحملوها معهم، وقفلوا راجعين بالنصر المبين.

ولم يستشهد فيها منهم إلا ثمانية، وقيل تسعة، وأصيب ستة عشر منهم بجراح، مع أن الطليان هلك منهم فيها مائتا جندي.

وقد جاءني الطالب محمد أبوزيتونة في زاوية الزروق، حينما كنت فيها مدرساً وصار يحدثني عن أعمال الطليان في تلك الزاوية، وكيف ربطوا فيها خيولهم، وجعلوا خلاويها أكنفة للبول والعدرة،

حتى وصلنا إلى واقعة رأس أبي غولة، فقلت - له - هل قلت فيها شيئاً من الزجل؟ .
فقال:

يَوْمَ بُوْغُولَةٍ مَا أَكْبَرَ هَوْلَهُ * فِيهِ الرُّومُ صَارُوا شَرْمُولَةً
بدليل أنهم عجزوا بعد ذلك اليوم حتى عن الوصول إلى ذلك
الرأس، وبقوا محصورين في قصر حمد والزروق والمواطنين، إلى أن
وقع الصلح بين الترك والطلليان في أكتوبر سنة 1912م، وهو
المعروف بصلح أوشى أسويسره.

تتمة المرحلة الأولى

قبل أن ينزل الطليان على قصر حمد - في هذه المرحلة -
وجهت مصراته في شهر أكتوبر سنة 1911م محلتين،
إحداهما: سارت إلى طرابلس، ونزلت في سواني بنيادم التي
عُيِّنَتْ في مؤتمر غريان مركزاً عاماً لجميع المجاهدين، وشهد رجالها
واقعة شارع الشط، وفيه قضوا على فرقة البنسليري، وشهدوا أيضاً
واقعة قصر الهاني.

واستشهد فيها جماعة من رجال مصراته، منهم رئيس المحلة
الأول الحاج أحمد المنقوش.

وشهدوا معارك عين زارة الثلاثة، وفيها جرح رئيس المحلة
رمضان السويحلي.

والمحلة الأخرى سارت إلى الخمس، ونزلت في بلدة
الجحاوات، وانضمت إلى المجاهدين في الخمس، تحت قيادة خليل
بك، متصرف الخمس.

وشهدت عدة معارك وقعت هناك بعضها في جبل المرقب،
وبعضها في غيره.

وقد تقدم أن بعضهم لم يرجع من طرابلس ومن الخمس إلا
بعد أن نزل الطليان على قصر حمد بمصراته.

المرحلة الثانية

وَفُتِّحَتْ أبوابها بثورة العرب على الطليان في
سرت على بئر القرضابية، التي وقعت يوم الخميس
15 جمادي الثاني سنة 1333 هـ الموافق ليوم 29
أبريل سنة 1915م، وانتهت بجلاء الطليان من
مصراته.

وقد وقعت في هذه المرحلة عدة معارك حربية
دامية، اشتهر منها أربع وقائع كبار.

الأولى: واقعة السريويل

ولأنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في سبخة من سبخات تورغاء، تسمى - عندهم - بالسريويل، تصغير سروال.

وسببها أن رمضان السويحلي لما رجع من واقعة القرضابية، ومعه مجاهدو مصراته وتورغاء، بدأ بمحاصرة الطليان الموجودين في تاورغاء، فأراد القضاء عليهم ليحتمي ظهره منهم في حصاره لمصراته، ولما أتم حصارهم بالاستيلاء على جميع الجهات التي يخشى خروجهم منها سالمين، أبقى لمحاصرتهم بعض المجاهدين من مصراته وتورغاء، وتوجه بالباقيين إلى مصراته يوم 15 مايو سنة 1915م، ونزل في جنوبها الشرقي، المسمى بكرزاز، واتخذ الغرفة التي فيه مقراً له، وجعل مركز المجاهدين العام في كرزاز، وشرع في حصار مدينة المواطنين بخط قتالي يشبه الهلال، جناحه الغربي في أولاد ابعيو، وجناحه الشرقي في الرويسات الشرقيين، قبالة طريق قصر حمد، وجعل دوريات المراقبة تصل إلى قرية رأس علي، ورأس التوتة، وقطع الطريق بين طليان المدينة، وطليان قصر حمد، وانقطعت المواصلات والإمدادات عن طليان تاورغاء من جميع الجهات.

فتضايقوا من ذلك الحصار، وخرجوا على المجاهدين المحاصرين لهم يوم 20 مايو سنة 1915م، لكن كل من خرج منهم أكله رصاص المجاهدين، فولوا الأدبار، ورجعوا إلى أمكتهم في الحصار، ثم قرروا الفرار ليلاً، واستأجروا رجلاً من أهالي تاورغاء

يقال له عقيلة بركات، وطلبوا منه أن يخرج بهم من طريق لا يوجد فيها المجاهدون، فتوجه بهم إلى سبخة السريويل، وهي أرض ملحية، سحطها أبيض كالثلج، وتحت ذلك السطح أرض طينية رخوة، تغوص بالماشي فوقها بلا قرار، حتى يغيب فيها، ولا يعرفها حق المعرفة إلا أبناء تاورغاء.

ولذلك لما قاربوها أمرهم عقيلة المذكور بالإسراع في المشي، وبقي في المؤخرة، وسقط على بطنه في الأرض، فنجأ، وكل من دخلها من جيش الطليان غرق فيها وهلك.

ولم ينج إلا من رجع من نفس الطريق التي جاءوا منها، ورمى نفسه على المجاهدين، فقبضوا عليه، وأمسكوه أسيراً.

وعدهم اثنان من ثلاثمائة، وقيل من خمسمائة، والباقون غرقوا جميعاً.

ولما وصل خبرهم إلى رمضان السويحلي فرح واستبشر، وأمر المجاهدين الموجودين - هناك - بمغادرة تاورغاء، والقدوم على مركز المجاهدين العام في كرزاز، والانضمام إليهم.

الثانية: واقعة رأس الطوبة

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لوقوعها في نواحي الرأس المذكور.
وسببها أن رمضان السويحلي لما أحكم الحصار على طليان
المواطنين تضايقوا، وأرادوا فكَّ الحصار عنهم، وفتح الطريق التي
بينهم وبين ميناء قصر حمد، لتتقدم البواخر البحرية.

ولذلك خرجوا يوم الثلاثاء 11 رجب سنة 1333 هـ الموافق
ليوم 25 مايو سنة 1915م، عند فجر ذلك اليوم، من فم باب مدينة
المواطنين، الموالي لطريق قصر حمد.

وكانوا يريدون بخروجهم الفرار والهرب لميناء قصر حمد،
ولكنهم لم ينجوا، بل وقعت بينهم وبين المجاهدين معركة في سبخة
قراة ورأس الطوبة، حامية الوطيس، دامت من الصباح إلى المساء.

هلك فيها من جيش العدو ما لا يقل عن ثلاثمائة جندي،
وأصيب فيها من المجاهدين نحو مائتين وخمسين، ما بين شهيد
وجريح.

فقد حصل فيها الضرر للطرفين، ولكنها انتهت بفشل الطليان
في خططهم، وردهم على أعقابهم خاسرين، ولسجن الحصار
راجعين.

الثالثة: واقعة سبخة بوفار

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في سبخة غربي قصر حمد، تسمى سبخة أبي فار. وقد وقعت بعد واقعة رأس الطوبة بثلاثة أيام.

وسببها أن طليان قصر حمد لما علموا بأن طليان المواطنين فشلوا في واقعة رأس الطوبة، وردهم المجاهدون على أعقابهم خاسرين، عاجزين عن فك الحصار الذي ضرب عليهم، خرجوا من قصر حمد لفك الحصار عن طليان المواطنين، وتوغلوا في السير لجهة الجنوب حتى وصلوا سبخة أبي فار.

وهي بالنسبة لقصر حمد تقع في الجنوب الغربي منه، وتبعد عنه قدر خمسة كيلومترات، وبالنسبة لمدينة المواطنين تقع في الجنوبي الشرقي منها، وتبعد عنها قدر خمسة كيلومترات أيضاً.

ومرادهم بذلك التوغل الإتيان من الخلف للمجاهدين المحاصرين للمواطنين، ليقتضوا عليهم إن سنحت لهم الفرصة للقضاء عليهم، أو ليشغلهم على الأقل عن محاصرة المواطنين، إن لم تسنح لهم الفرصة لذلك، بحيث ينفك الحصار عن طليان المواطنين، وتفتح لهم طريق قصر حمد، ليمروا منها إليه.

ولكن خيب الله آمالهم؛ إذ بمجرد خروجهم من قصر حمد اكتشفتهم دوريات العرب.

وطير خبر خروجهم لرمضان السويحلي في الغريفة، فأصدر الأمر للمجاهدين المحاصرين للمواطنين بالثبات في مراكزهم

لمحاصرة المواطنين، وأمر جميع المجاهدين الاحتياطين الموجودين في كرزاز بالتوجه لملاقاة العدو الخارج من قصر حمد، فساروا إليه.

وشاع في البلاد خبر ظهور الطليان من قصر حمد، فجاء للمجاهدين كل من عنده سلاح من التجار، والفلاحين ورعاة الماشية، ولحقهم بالفؤوس والمناجل والخناجر كل من يقدر على حمل السلاح؛ للذود عن الأرض والعرض.

وقالوا: هذه معركة حياة أو موت.

وصاروا يسرون جميعاً نحو العدو، ووجدوا الكبتن (فيكي) متقدماً أمام جيش الطليان على مسافة ميلين تقريباً، فحالفوا بينه وبين جيش الطليان، وأمسكوه أسيراً، والتقوا بجيش الطليان في سبخة أبي فار، فصدوا ذلك الجيش عن التقدم، وصارت جيوش الطليان تتدفق على تلك السبخة كالسيل العرم وتجمع جيش المسلمين أمام جيش العدو في خط يشبه الهلال المقابل لمشرق الشمس.

وجاء المهدي السوادني⁽¹⁾ بمدفعه الخفيف، ونصبه وراء جيش المسلمين؛ لصدّ جيش العدو عن التقدم.

وبقى كل طرف ينتظر الأمر، حتى تمت الساعة الثالثة بعد نصف النهار، وصارت وجوه المسلمين قبالة الظل، ووجوه الكفار قبالة الشمس.

فعند ذلك شرع المهدي ضابط المدفع في إطلاق النار على الكفار، وتبعه المجاهدون في إطلاق الرصاص بقوة وعنف، حتى

(1) من سودان الخرطوم، جاء متطوعاً للجهاد في ليبيا في قافلة تسمى بالمهجنة؛ لأنهم جاؤوا راكبين على إبل.

صار ينهال من المجاهدين على الكافرين كوابل المطر الغزير، وتوالى على جيش الطليان حرّان، حر الشمس، وحر الرصاص، الذي صار يحصدهم حصد الهشيم، فلم يفلحوا ولم ينفعوا، وظهرت عليهم علامات الهزيمة من أول وهلة، وبقوا في ارتباك كبير، وأصابهم فزع وذعر، حتى صاروا يلوذون بالفرار، وضباطهم يجبرونهم على الثبات والقرار، إلى تمام الساعة الخامسة. فعند ذلك أيقنوا بأن الدائرة عليهم، ففروا منهزمين، تاركين جميع ما خرجوا به من سلاح، وذخيرة ومؤنة.

وركب المجاهدون أقتيتهم، وصاروا يطارودنهم، ويقتلون كل من وصله رصاصهم، حتى صارت جثثهم مبعثرة في تلك السباح، مثل الغنم المتشيرة في المرعى، من سبخة أبي فار إلى سبخة أبي شعيرة، وهي مسافة لا تقل عن ثلاثة كيلومترات طويلاً، وكيلوين عرضاً.

ولذلك كانت هذه الواقعة أكبر الوقائع التي وقعت بمصراته، في هذه المرحلة الثانية، فقد مني فيها الطليان بهزيمة كانت من أكبر الهزائم، وخسارة كانت من أكبر الخسائر.

وهلك فيها من جيشه ما لا يقل عن ألف جندي، ومع ذلك لم يستشهد فيها من المجاهدين إلا نحو ثلاثين شهيداً، وأصيب نحو سبعين منهم بجراح.

ولذلك لما جاءني الطالب محمد أبو زيتونة - في زاوية الزروق - وحدثني عما فعله الطليان فيها، وحدثني عن واقعة رأس أبي غولة، وذكر لي البيت الذي قاله فيها، قدمت له الكأس الأول من الشاي -

الذي جعلته له - فشربه وانبسطنا في المجلس، فقلت له: أنت في زمن جهاد الليبيين في الطليان تحمل السلاح؟

فقال: نعم.

فقلت له: هل حضرت شيئاً من الوقائع الحربية، التي وقعت في مصراته؟

فقال: مع سعدون السويحلي حضرت أكثر الوقائع التي وقعت في قصر حمد، ولم تفتني إلا واقعة يوم النزول، وأما مع رمضان فلم نحضر إلا واقعة يوم سبخة أبي فار. وحدثني عنها تفصيلاً.

فقلت له: هل قلت فيها شيئاً من الزجل؟

فقال: نعم.

فقلت له: إِيَّه أَسْمِعْنِيهِ * إِنِّي مُشْتَاقٌ إِلَيْهِ

فقال:

يَوْمَ ظَهَرَ جَيْشُ الطَّلِيَّانِ * وَجَسَّائِنِي فَكَّ الْحِمَارِ
ظَهَرْنَا لَهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ * وَلَمْ يَبْقَ وَاحِدٌ مِنْ دَارِ
مَشِينَا كَيْفَ نَبِلَ الْوُذْيَانِ * وَهَلْنَا فِي سَبْخَةِ بُوفَارِ
وَجَدْنَاهُمْ مَلَى الْغَيْطَانِ * أَقْرَابَةُ خَمْسِ آلِافِ احْمَارِ
أَوَيْتُمْ شَبَحُوا جَيْشَ الْعَرَبِيَّانِ * أَتَى كَيْفَ سَحَابَةُ الْأَمْطَارِ
وَقَدَّامَهُ بَغْضُ الْقُرْنَانِ * عَلَى خَيْلٍ اتَّغَيَّرَ عَلَى النَّارِ
بِهَا خَارُوا (فِي كَيْ) الْقُبَطَانِ * وَشَسَدُوهُ أَمِشَرَ كَالْفَارِ
خَافُوا فِي الْبَرِّ الْعَرَبِيَّانِ * وَهَمَّارُوا كَالْفَارِ الْحَفَارِ
أَوَيْتُمْ ضَارُوا بِثَلِ السَّطِيحَانِ * مِنْ صَهْدِ الشَّمْسِ الْمُخَرَارِ
بَذَا مَذْفَعٍ مَهْدِي السُّودَانِ * الْهَكَسُورُ فِي رُوسِ الْكُفَّارِ
أَوَيْتُمْ أَرَادَ الْغَيْزُ الْفَنَانِ * يُخَصِّدُ فِيهِمْ كَالْمُنْشَارِ

سَحَقُوا مِنْهُمْ نَصْفَ الْفَيْسَرَانِ * وَبَسَّاقِيَهُمْ فَسَرُّوا لِلْفَيْسَارِ
 أَوْيُنْ أَنْهَارِ الشَّيْثَانِ * زِدْ نَالَهُ صَفْعَاتِ الْخَبَارِ
 زِدْنَا هَالَهُ بِالْمَلِيَانِ * يَشْ أَيْخَبِرْ بَعْدَ أَنْهَارِ
 إِلَى أَنْ صَارَتْ تِلْكَ الْغَيْطَانِ * مَلَايَا بِأَجْنُتِ الْكُفَّارِ
 أَوْنَلْنَا اسْلَاحَ وَجْخَانِ * غَنِمْنَا مَا أَتَكْمَلُهَا نَارِ

ولما وصل إلى هنا، قلت له من بحره وقافيته :

يَكْفِي فَمَا لَا تَهْـسَانِ * وَتَسْلَمُ مِنْ تَغْـذِيبِ النَّارِ
 تَحْلَامُكَ فِي حَرْبِ الطُّلِيَانِ * أَقْسَى مِنْ كُحُورِ الطُّيَّارِ

فعند ذلك زاد في الانبساط، وذكر لي آياتاً أخر تتعلق بواقعة
 يوم السبب، سيأتي ذكرها في محلها، إن شاء الله تعالى .

الرابعة: واقعة جرف المقاصبة

وإنما اشتهرت بهذا الاسم؛ لأن جُل الواقعة وقع في الجرف المذكور.

وسببها أن طليان المواطنين لما علموا بواقعة سبخة أبي فار، وأن طليان قصر حمد قد فشلوا فيها فشلاً ذريعاً، وهلكوا فيها هلاكاً فظيماً في العتاد والذوات، ويشسوا من خروجهم مرة أخرى لإنقاذهم، جازفوا بأنفسهم مجازفة يائسة، فقرروا الهجوم على المجاهدين المحاصرين لطريق قصر حمد في الجناح الشرقي؛ لفك الحصار عنهم.

فظهروا في فجر يوم 26 رجب سنة 1333 هـ الموافق ليوم 11 يونيو سنة 1915 م، من فم باب الطريق التاورغية، وبدؤوا بالهجوم على جرف المقاصبة؛ لاعتقادهم أنه أقوى مراكز المجاهدين في خط القتال، وأنهم إذا احتلوه واستولوا عليه، يسهل عليهم القضاء على المجاهدين الموجودين في الجناح الشرقي المحاصرين لطريق قصر حمد، وتنتفع لهم تلك الطريق؛ ليفروا منها لقصر حمد.

ولذلك هاجموا بقوة هائلة، قبل انتشار الضوء، واشتبكوا مع المجاهدين الموجودين فيه، ووقع بينهم قتال عنيف، هلك فيه من الطليان عدد كبير، ولكنهم تكاثروا حتى عجز المجاهدون في الجرف عن صدّهم، فتقدموا حتى سقطوا على المجاهدين فيه.

ووقعت بين الطرفين ملحمة قتال بالسلاح الأبيض، ولكثرة عدد الطليان رجحت كفتهم، واحتلوا الجرف المذكور.

وانسحب منه من بقي حياً من المجاهدين، وصاروا يقاتلون
الطليان من وراء الجدران، وأشجار البساتين، الموجودة بجوار
الجرف المذكور.

ثم انتشر جيش الطليان في سواني الدرادقة، وامتدوا لجهة
الرويسات، وأرادوا الهجوم على المجاهدين في الجناح الشرقي
المقابل لطريق قصر حمد.

ولكن كل من قرب من تلك الجهة أكله رصاص المجاهدين.

وطُير الخبر لمركز المجاهدين العام في كرزاز، فجاءت من
المجاهدين الإحتياطيين نجدة كبيرة، وعززت جانب المجاهدين
المنسحبين من الجرف.

وبقي القتال مستمراً بين الطرفين بصفة متقطعة، إلى أن تأخر
النهار، وصار جيش الطليان في غاية التعب، والأكدار من حر القتال،
وحر الشمس.

ووصلت قسدر العصر نجدة أخرى، جاءت من كرزاز
للمجاهدين، ومعها الأمر من رمضان السويحلي بالهجوم على
الجرف، وفكه من الطليان، وطردهم منه قبل الليل.

فعند ذلك نظم المجاهدون أنفسهم، وفاجؤوا الطليان بالهجوم
بغته بقوة، وعنفة، وسرعة تقدم، فذفت في قلوب الذين كفروا
الرعب، وأرهبتهم وأدهشتهم، حتى ارتبكوا، وفشلوا في القتال، إلى
أن غم عليهم المجاهدون، واختلطوا بهم، وقسائلوهم بالسلاح
الأبيض، فقتلوا على كل من وجدوه في الجرف، وهزموا كل من
وجدوه خارجه، هزيمة منكرة، حتى انهاروا انهياراً قظيماً، وفروا فراراً

بشعاً، يشبه فرار الغنم الشاردة أمام الذئاب العادية.

وركب المجاهدون أقتيتهم، وصاروا يطاردونهم، ويضربونهم بالرصاص، حتى أدخلوهم للمدينة، كادخال الغنم للزريبة، مذعورين، مقهورين، ولسجن الحصار خاضعين.

فهذه الواقعة من جملة الوقائع التي حصل فيها الضرر للطرفين، فقد هلك فيها من جيش الطليان مالا يقل عن أربعمئة جندي؛ لكون القتل استحر فيهم أول النهار وآخره.

وأما المجاهدون فلم يستحر فيهم القتل إلا أول النهار، عند هجوم الطليان عليهم في الجرف لاغير، ولذلك لم يصب فيها منهم إلا نحو مئة وخمسين، بين شهيد وجريح.

ومع ذلك فقد انتهت بفشل الطليان في خطتهم، وردهم على أعقابهم خاسرين، محصورين، مسجونين في مدينة المواطنين، كحصر وسجن الدجاج في القفص.

وبانتهاء هذه المعركة انتهت جميع محاولات طليان المدينة، وعجزوا عن فك الحصار عنهم كلياً، ولم يقدروا على أي فعل من الأفعال.

جلاء الطليان عن مصراتة

قد دام حصار العرب للطليان في مصراتة، نحو خمسة وسبعين يوماً، فشلت فيه جمع المحاولات، التي بذلها الطليان لفك الحصار عنهم.

ولذلك تأكد العدو- في طرابلس - أنه لا ينجى جنوده المحصورين في مصراتة سوى المجازفة اليائسة، لإنقاذ حياة الباقين منهم، فبعث لهم بواخر رست بميناء قصر حمد، وأعطتهم الاشارات بالخروج الفوري من المواطنين، مهما كلفهم الخروج من ثمن، واستجابة لهذا الأمر جهزوا أنفسهم يوم الأربعاء الموافق 23 / من رمضان سنة 1333 هـ. الموافق ليوم 4 / من أغسطس سنة 1915 م، وخرجوا من مدينة المواطنين، مستترين بظلام الليل، قاصدين سفنهم بالميناء المذكور في ليلة الخميس 24 / رمضان سنة 1333 هـ، 5 / أغسطس سنة 1915 م.

وقد تركوا الخروج من طريق قصر حمد - خوفاً من المجاهدين في الجناح الشرقي - وتسللوا مع طريق يدر، ولم يشرعوا في التسلل إلا بعد نصف الليل، وكانت طريقاً وعرة، صعبة السلوك، لا يمكن حمل شيء ثقيل فيها، ولا السلوك معها إلا بمشقة، ولذلك تركها المجاهدون من غير حصار.

وإنما ارتكب الطليان مشقة سلوكها؛ لشدة خوفهم من المجاهدين، ولأنهم خرجوا بمجرد أيديهم وأرجلهم، ولم ينقلوا من المدينة شيئاً معهم.

ومع ذلك لم ينجوا بل اصطدموا بمجموعة من المجاهدين، يتجولون هناك، واشتبكوا معهم في معركة دامت عدة ساعات، وبعد قتال عنيف، شقوا لأنفسهم طريقاً إلى قصر حمد، وكانت البواخر في انتظارهم، فحملتهم إلى طرابلس، وتركوا مصراتة بكل ما فيها، من معدات الحرب والأرزاق، وكان شيئاً لا يحصى كثرة، ولا سيما البنادق، والرشاشات، وأجهزة المواصلات.

تتمة المرحلة الثانية

لم يقتصر جهاد مصراتة - في هذه المرحلة - على الوقائع الأربعة، التي تقدم ذكرها، بل قبل حصار الطليان في مصراتة، شاركت محلة مصراتة في ثورة العرب على الطليان في معركة القرضابية.

ولا يخفى ما قامت به مصراتة من الدور الذي كان سبباً في هزيمة الطليان في تلك المعركة.

وبعد جلاء الطليان عن مصراتة، شاركت محلة مصراتة في محاربة الطليان في الزاوية الغربية، تحت قيادة اسحاق باشا، قبل إعلان الجمهورية الطرابلسية، وتحت قيادة عبد القادر الغنائي، بعد إعلان الجمهورية المذكورة.

بل الفرقة المصراتية التي يرأسها عبد العاطي الجرم - بعد صلحه مع رمضان السويحلي - لم ترجع من الزاوية الغربية، إلا بعد نزول الطليان الثاني والأخير على قصر حمد بمصراتة سنة 1922 م.

المرحلة الثالثة

قد فُتِح بابها يوم نزول الطليان الثاني والآخر
على قصر حمد بمصراته، الذي وقع ليله الخميس
27 / جمادى الأول سنة 1340 هـ الموافق ليوم 26 /
يناير سنة 1922 م، وانتهى بمعركة الكراريم.

وقد وقعت فيها عدة وقائع حربية دامية في
مصراته، وغيرها.

اشتهرت منها ثمان معارك كبار، منها ثلاثة في
قصر حمد.

الأولى: واقعة يوم النزول

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت يوم نزول الطليان على قصر حمد.

وسببها أن إيطاليا لما ندمت على صلح سواني بنيادم، وأرادت نقضه، عزلت الوالي الذي حضر الصلح المذكور، وعينت بدله (الكونت فولبي) والياً على طرابلس، وأمرته بتغيير السياسة في طرابلس، وبالعامل على نقض الصلح المذكور، فصار يتحين الفرص، ويلتمس الأسباب التي يبنى عليها نقض الصلح المذكور.

فسمع أن هيئة الإصلاح المركزية - في غريان - وجهت وفداً لسرت، للتفاوض مع البرقاويين في الوحدة بين طرابلس وبرقة، في أوائل جمادي الأول سنة 1340 هـ الموافق لأوائل يناير سنة 1922م، فاغتاظ من ذلك العمل؛ لأنه يكره الوحدة بين طرابلس وبرقة، وصمم على إعلان نقض الصلح بغزو مصراته - التي هي همزة الوصل بين طرابلس وبرقة - وأحاط ذلك بسرية تامة، فقد قال بنفسه - في أحد كتبه - «قررنا في السر الاستيلاء على قصر حمد، وعزمنا على القيام بالأعمال الحربية في يوم 26 / يناير سنة 1922م، ويرجع الفضل في نجاح الحملة إلى سرية التجهيز، وشدة التكتّم في المفاجأة، حتى إن العرب لم يشعروا بنزول جيشنا إلا بعد ثلاث ساعات من نزوله، حتى وجدوا أنفسهم أمام مدافعنا ورشاشاتنا» انتهى كلامه مترجماً.

ولكن بمجرد نزولهم في الأرض، وصل خبره للحكومة المحلية

في المواطنين، وانتشر وسرى في البلاد بسرعة، تشبه سرعة التيار الكهربائي.

فجاء المجاهدون إلى قصر حمد من كل حذب وصب
ونظراً إلى أن أحمد السويحلي - الذي هو رئيس البلاد وقائد
جيشها العام - كان غائباً مع أعضاء مؤتمر الوحدة، بين برقة وطرابلس
في سرت، فقد حصلت حيرة للمجاهدين في أول الأمر؛ لعدم وجود
مسؤول في الجبهة، يتولى قيادتها.

ولكن لم تطل تلك الحيرة، فقد تقدم (الحاج علي الأسطى
الرملي) لسد ذلك الفراغ - مؤقتاً - وحسم الموقف بشجاعة وحماس،
وقال: «ماذا ترجون لهم» وأطلق عليهم الرصاص، من بندقيته، عند
تمام الساعة العاشرة صباحاً، من ذلك اليوم، واندفع معه المجاهدون
مباغتين العدو بالهجوم العنيف، والنيران الكثيفة، قبل أن يتمكن من
حفر خنادقه، ومباشرة تحصيناته.

والتحم الطرفان بصراع دموي حاد، وحمى وطيس المعركة،
وشعر العدو بسطوة المجاهدين على جنوده، في ناحية قصر حمد.
فوجه الأسطول إلى ناحية أبي شعيقة، وأنزل فيه قسماً من
القوة، تحت حماية نيران مدافعه.

واقترح المجاهدون المعركة في جرة، كانوا فيها عرضة لنيران
العدو.

وتدافع الفريقان مدأً وجزراً، حتى اضطر العدو آخر النهار إلى
التراجع لميناء نزوله مذعوراً.

وقد كانت ملحمة هائلة استشهد فيها - من المجاهدين - نحو

ثمانين شهيداً، وأصيب نحو سبعين منهم بجراح.

وهلك فيها من جيش العدو ما لا يقل عن مائتي جندي.

وفي اليوم الثاني استمر إطلاق النار من المجاهدين على جيش العدو، بصفة متقطعة؛ لمنعهم من الحركة، ومن مراقبة أعمال المجاهدين، حتى تمكن المجاهدون من ترتيب خط القتال، ومن تحصين مراكزهم فيه.

وفي اليوم الثالث تمكن الجاويش (عبد الله الزقل) وفرقة، من الوصول إلى منازل الحريبات، والتمركز فيها، وصار يهجم على جيش الطليان بالقنابل اليدوية - صباحاً ومساءً - حتى أجلاهم من الجهة التي بين منازل الحريبات والبحر.

وانقطع جناح العدو الشرقي عن الصدر، وصار القسم الذي أنزله العدو في الجناح الشرقي، جهة أبي شعيفة، شبه المحصور.

وفي اليوم الرابع - وهو 29 / من يناير - جاء الطليان بأورطة⁽¹⁾ من المشاة، ووحدة من المدفعية الثقيلة؛ لتخفيف ضغط المجاهدين على الجناح الأيسر الشرقي من جيشه.

(1) أي فرقة من الجيش.

الثانية: واقعة حيشان الحريبات

وقد عبّر عنها الزاوي - في جهاد الأبطال - بواقعة منازل
الذكيران، وابن مسعود افشكة - في تاريخ رمضان - بواقعة حيشان
الديكران، ومن الناس من يسميها بواقعة قوز احريب، ومراده بالقوز
جميع الرمال المحيطة بتلك المنازل، ومنهم من يسميها بواقعة يوم
السبت الاول، ومنهم من يسميها بواقعة يوم الحبش والعسكر.

وانسب الاسماء الستة أولها؛ لأن الأمور كثيراً ما تسمى بركنها
الأهم، كالدين النصيحة، والحج عرفة، والتوبة الندم، وما أشبه ذلك؛
ولأن بعض الزجاليين قد عبّر به حين قال - في هذه الواقعة:

في جيش بو طرف خازت الأفكار • حين انهزم ليلة حيشان الحريبات
ما تنفع الكثرة ويزن ضعفهم ينهار • وواجهت اسدرب خيزر من بيئات
ولولا غناجر الفارس المغوار • إلهي زدوا العدو في هجمة الغفلات
ضاعت ابلادي ابضيفة النوبار • وخسرت اخسارة قمار في حانات

وسببها أن عبد الله الزقل قد برع في الضرب بالقنابل اليدوية،
وبسبب تلك البراعة ترقى إلى رتبة جاويز في ثلاثة أيام، وقد تقدم
أنه تمكن في اليوم الثاني من الوصول إلى منازل الحريبات، وتمركز
فيها هو ومجموعة من الفدائيين، وصار يهجم على تجمعات العدو
أول الليل وآخره، ويقذف عليهم القنابل اليدوية، فينال منهم، ويرجع
سالمًا، وضيق عليهم تضيقاً شديداً، حتى أربهم، وقذف في

(١) الفارس المغوار: هو سعدون السويطي.

قلوبهم السرب، وصاروا يترصّدون له، فلم يفلحوا، فأرسلوا للمجاهدين الموجودين في الجناح الشرقي جاسوساً من أهالي قصر حمد، جاءهم وأظهر أنه كان غائباً، وأنه لما سمع بتزول الطليان على قصر حمد، جاء لإنقاذ أسرته من ضرر الطليان، فوجدهم من جملة من قتلهم الطليان، في الليلة التي بعد واقعة يوم التزول، أخذاً بثأر جنوده، الذين قتلوا في ذلك اليوم، وأنه حاقّد على الطليان، ويريد الانتقام منهم، والجهاد فيهم مع المجاهدين، فعطفوا عليه لذلك، وبقي معهم حتى علم أن الذي يهجم بالقنابل اليدوية هو عبد الله الزقل، وأنه من القذائين، الماكثين في حيّشان الحريبات، وأن الإشارة السرية بين المجاهدين - في تلك الليلة - هي لفظة (فتحى)، ومكث معهم إلى الساعة الواحدة بعد نصف الليل، ثم خنس وتغيّب عنهم.

وانطلقت على المجاهدين حيلته، فلم يفتنوا لها، ولم يأخذوا حذرهم في تلك الليلة.

وجاء للطليان، وأخبرهم بكل ما رآه وبينه، وأعطاهم الإشارة السرية لتلك الليلة، وهي ليلة السبت الموافق 4 / فبراير سنة 1922 م.

فقرروا الهجوم على المجاهدين في تلك الليلة، وخرجت فرقة كبيرة من الأحباش في السادس الأخير من الليلة المذكورة، وجاءت أولاً إلى منازل الحريبات، ولما أحسّ بها العسّاس قال: (إش كون)، قالوا - له - (فتحى) فلم يطلق عليهم الرصاص - للإنذار - حتى وصلوا إليه، وقتلوه بالسلاح الأبيض، ودخلوا على المجاهدين بغتة في تلك المنازل، وهم غافلون، فمنهم من هو راقّد بالنوم، ومنهم من هو مستيقظ، لكنه غير مستعد للقتال.

وتلاحموا معهم بالسلاح الأبيض، وأمكتهم الفرصة في

المجاهدين، حتى قضوا عليهم، ولم ينج منهم إلا من فرّ إلى أعلى السطوح، ورمى بنفسه خارجها فراراً⁽¹⁾.

ثم لحقتهم فرقة أخرى مع طلوع الفجر، حتى تكاثروا كثرة هائلة.

وتقدموا إلى خط القتال في الجناح الشرقي، وهجموا على المجاهدين في مكانهم، وهم غافلون، وسطروا عليهم بالسلاح الأبيض - أيضاً - فأثروا فيهم تأثيراً قوياً، وانهزم كثير من المجاهدين أمامهم.

ولعبوا في الجناح الشرقي لعبة فظيعة مريعة، حتى أصبح كل من فيه من المجاهدين بين قتيل ومهزوم.

ثم شرعوا في مطاردة المنهزمين، حتى دخلوا السبخة، التي تقع غربي أبي شعيقة، عند الساعة السابعة صباحاً، وتوغلوا فيها، ومبرادهم بذلك التوغل، كسر ظهور المجاهدين في الجناح الغربي، وفي القلب.

ولكن وصل بسرعة خبر هجومهم إلى سعدون السويحلي - في منازل الملائطة - فاستفز العساكر الموجودين معه - هناك - بسرعة، ولاقى الجيش، وطلع عليهم في تلك السبخة، قبل طلوع الشمس، وأمطرهم هو وعساكره بوابل من الرصاص، حتى قتلوا من الأحباش - في تلك السبخة - مثل ماقتلوا من المجاهدين في تلك الليلة.

فارتعب الأحباش من هذا الجيش، الذي طلع عليهم، وباغتهم من حيث لا يشعرون، فولوا الأدبار.

(1) وهو رجل واحد يقال له الصادق بن عامر.

وصار سعدون وجيشه يضربون وجوههم، وأدبارهم برصاص،
يحصدهم حصد الهشيم، حتى ردهم على أعقابهم، ورجعوا إلى
معاقلهم على شاطئ البحر مهزومين، عند الساعة التاسعة صباحاً.

وقد استشهد - في تلك الليلة - من المجاهدين نحو مائة
وخمسين شهيداً، مع أن الأحباش لم يمت فيها منهم إلا نحو
العشرين، ولكن في الصباح هلك منهم ما لا يقل عن المائتين.

ولولا سعدون وعساكره - في الصباح - لكسر الأحباش ظهور
المجاهدين في الجناح الغربي، وفي القلب، وهجم عليهم العدو من
الوجه، واتسع البخرق على الراقع، وضاعت البلاد وحماتها.

ولذلك قال السيد أحمد بَلْتُو - في أبيات زجله المتقدمة -
وَلَسَوْلا غَسَاكِرُ الْفَارِسِ الْبَغْوَارُ * اللَّي زَدُّوا الْغَدُو فِي فَجْنَةِ الْغُلَّاتِ
ضَبَاغَتْ أَبْلَابِي أَبْغِيظَةَ الْوُبَارِ * وَجَسْرَتْ اخْسَارَةُ قَمَارُ فِي خَانَاتِ

ولذلك قال سعدون: «من هذا اليوم فصاعداً، لا بد أن يكون
مع كل مجموعة من المجاهدين فرد من أفراد العسكر يرأسهم».

الثالثة: واقعة يوم السبت

لما رجع المجاهدون - بعد واقعة حيشان الحريات - إلى مراكزهم في الجناح الشرقي، ضيقوا على الطليان تضييقاً قوياً، وقطعوا خطوط مواصلاته التي بين الميناء وأبي شعيفة. وأصبح مركز الطليان - في أبي شعيفة - مهدداً، وخشي من العرب أن يهجموا على مراكزه في أبي شعيفة. فحماية لجنده - في أبي شعيفة - منهم، أخذت قنابل أسطوله تواصل قصفها، فوق رؤوس المجاهدين، ولكنها لم تفلح في إبعادهم عن هدفهم.

قال ابن مسعود افشكة - في تاريخ رمضان - «ولما يش العدو من إبعادهم، وشتم من بقائه حبساً بالميناء، وماحولها، أراد أن ينهي موقفه - في قصر حمد - مع العرب مرة واحدة، فأحضر جنداً كثيفاً، ومعدات حربية ضخمة، وأرسى تجاه الشاطئ بعضاً من قطع أسطوله.

وكانت خطته من ذلك أن يسحق بها الذين أمامه من قوات سعدون، ثم يمضي بعدهم لاحتلال المواطنين.

لكن القائد سعدون، وأركان حربه، كانوا - بعد حادثة 4 / فبراير - على حذر ويقظة منه ليلاً ونهاراً، وكانوا مما يصلهم عن أخباره، ومما يرون من تحركاته النشطة، قد تأكدوا أنه يعمل لاستخدام خطير بهم.

فإزاء هذه الطوارئ لم يتوانوا في الاستعدادات الكبيرة للقائه،

بجلب الأسلحة، واستدعاء النجادات من مصراتة وغيرها، وتوفير المؤن، وإخلاء تلك المنطقة من غير المحاربين.

وفي فجر يوم السبت 13 / جمادى الثاني سنة 1340 هـ الموافق ليوم 11 / فبراير سنة 1922 م، أي بعد سبعة عشر يوماً، من تاريخ النزول للحملة، التي نزلت في (26 يناير)، تحقق ما منه الحذر برؤية البصر.

إذ في يوم السبت المذكور - عند طلوع الفجر - خرج الجند الإيطالي من معاقله في قصر حمد، وهو منتشر في الجبهة كالجراد، وأخذ يزحف غرباً، محاذياً طريق المواطنين، متجهاً إلى خطوط المجاهدين الرئيسية، تعززه وتحميه قنابل الأسطول المشتعلة المنهالة على المقاومين البواسل.

واندفع سعدون وأخوانه الأشاوس نحو العدو، هاجمين عليه بالتكبير، والأراجيز الحماسية، التي منها:

«يَا مُؤَيَّرُ رَنْ • أَوْقَاتِكَ جَنْ»

في صراع هائل، قريب الشبه بيوم الرميلة.

وكان مما فاجأهم به من الأسلحة الآلية الفتاكة ثلاث سيارات مصفحة بمدافعها.

وحمل وطيس المعركة، بدوي القنابل، وأزيز البنادق، ودخان البارود، والحرائق، وتساقطت الأنفس قتلى وجرحى.

وكان سعدون بجولاته - بين الصفوف المجاهدة - يشجع على الثبات، والاقدام في سبيل الله والوطن، ويُلقي لهم ما يلزم من الأوامر والإرشادات.

وقد بذل المجاهدون من البسالة الفدائية، لدرجة أنهم أُسروا من العدو إحدى مصفحاته، ولاذت الآخرين بالفرار متقهقرة.

وارتاع الطليان من تهافت العرب في اقبالهم على الموت، وعدم مبالاتهم بالحياة، حتى ارتعبوا، وأخذوا مع العصر يولون وجوههم فارين نحو حصونهم بقصر حمد، متكبدين خسائر في الأرواح والأسلحة لا تحصى عدداً. انتهى كلام ابن مسعود⁽¹⁾.

وقد قدر ما هلك منهم - في ذلك اليوم - بما لا يقل عن سبعمائة جندي، منهم ثلاثة ضباط كبار.

واستشهد - في ذلك اليوم - من المجاهدين نحو مائتين وستين شهيداً، وأصيب نحو مائة منهم بجراح.

ومن تشرف بالشهادة - في ذلك اليوم - البطل (عبد العاطي الجرم)، أحد رؤساء المجاهدين، وهو من جماعة الحسون، والسيد (عبد الله الزدام)، أحد ضباط المدافع، وهو من جماعة زليطن، والشيخ (صالح الدلفاق)، أحد رجال العلم، وهو من جماعة مصراته.

وغاية ما توصل إليه الطليان من نتائج هذه المعركة، أنه تمكن من تثبيت أقدام جيشه على ميناء قصر حمد، بعد أن كانت غير ثابتة، راضياً بالبقاء في الميناء، تاركاً لاحتلال المواطنين؛ ليعجزه عنه بعد واقعة يوم السبب.

ولذلك قال الزجال محمد أبوزيتونة - في الأبيات التي وعدنا بذكرها هنا:

(1) ص 266 - 267 - 268.

يَسُومُ تَبَيِّتِ السَّدُوبَاتِ • لَسَى الرُّومِي غَشْرًا خَزَامَاتُ
وَجَابَ مَا عُنْدَهُ مِنْ قُوَاتِ • وَلَقَدْ مِنْ جَيْشِهِ الْغَزَاتُ⁽¹⁾
وَجَا يَفْخُجُ كَأَفْجِجِ غَوِيْنِ • يَغِي يَحْتَسِلُ امْسَاطِلِيْنِ

لَكِنْ قَدْ خُصِّلَ نَطَحَاتِ • وَحُصِّلَ أَقْصَى دَقِشَاتِ
دَقِشَ مِنْهُنَّ أَقْصَى الدُّفُشَاتِ • وَوَلَّى اقْرُونَهُ مَكْشُورَاتِ
وَضَارَنَ اقْرُونَهُ مِنْ طِلِيْنِ • وَبَيْنَ قُضْدِ أَخْبَذِ امْسَاطِلِيْنِ

ملحق لمعارك قصر حمد

لما فشل الطليان في واقعة يوم السبت، وولوا الأدبار، ورجعوا
إلى معقلهم في قصر حمد، مذمومين مدحورين، وعرفوا أنفسهم
أنهم عاجزون عن احتلال المواطنين.

ترسوا بميناء قصر حمد، خوفاً أن ينسفهم تيار العرب
الجارف، ويرميهم في البحر، وبقوا على ميناء قصر حمد،
محصورين في مسافة لا تزيد عن اثني كيلو متراً طويلاً، وكيلاوا واحد
متراً عرضاً، مدة عام كامل، من فبراير سنة 1922م إلى فبراير سنة
1923م.

ولشدة خوفهم من العرب، تركوا الهجوم على المجاهدين،
خوفاً من هجوم العرب عليهم في الميناء.

ووقف المجاهدون أمامهم، يمنعونهم من جميع الأعمال، نهراً

المراد بالغزات: الأحباش لشبههم بالعز في سواد اللون.

وليلاً، حتى من الضوء والنار، وصار كل من يشعل منهم ناراً أو ضوءاً، ينهال عليه رصاص المجاهدين.

واستمرت الأعمال الفدائية من الفدائيين تنفذ فيهم كل ليلة، قتلاً وتخريباً، حتى صار القتل فيهم من المجاهدين والفدائيين مستمراً دائماً وأبداً، ولا يسلمون منهم إلا في الأيام القليلة النادرة.

ونفذ فيهم الفدائيون مايزيد على ثلاثمائة عملية فدائية، ومع ذلك كله لم يئدوا أي تحرك، خوفاً من هجوم العرب عليهم. ولم يقدرُوا على فعل شيء أصلاً، حتى احتل العدو جميع الجهات الغربية، التي غربي طرابلس.

ووجه جيوشه الثلاثة الضخمة؛ لاحتلال الجهات الشرقية، التي شرقي طرابلس، جيش بقيادة غرزباني، وجيش بقيادة بتساري، وجيش المرتزقة الأوباش بقيادة يوسف خريش.

فهذه الجيوش الثلاثة هي التي واصلت زحفها حتى احتلت مصراته، وفكّت الحصار عن طليان قصر حمد.

وهنا انتهى الكلام على مايتعلق بالجهاد، الذي وقع من أبناء مصراته في قصر حمد.

الرابعة: واقعة السلحية

وانما اشتهرت بهذا الاسم، لأنها وقعت في سفح جبل بين قماطة ومسلاتة، يسمى جبل السلحية، وهو من جملة جبال النقازة، إلا أنه بعيد عن الطريق الساحلية.

وسببها أن العدو لما غاباً جيوشه الثلاثة الضخمة، التي قدرت بثلاثين ألفاً - كما قال الزاوي في جهاد الأبطال - ووجهها لاحتلال المناطق الشرقية، وصلت أنباؤها لسعدون في مصراتة.

فصمم على التوجه لملاقاتهم، ومحاربتهم - هناك - قبل أن يصلوا قماطة ومسلاتة.

وشرع في جمع ما استطاع جمعه من المجاهدين البواسل، والشبان المدربين على حمل السلاح، الذين يتحلون بأوصاف الشجاعة والتضحية، وضم إليهم نصف القوة المرابطة بقصر حمد، واستجلب من مخزن الذخائر - بسيدي عبد الرؤوف - البعض من المدافع والرشاشات، وغيرها من اللوازم الحربية.

وبينما هو يجهز نفسه لهذا اللقاء العصيب، إذ خاطبه (الشيخ علي بن رحاب)، قائم مقام قماطة - هاتفياً - وأبلغه بأن جيوش العدو وصلت القرى بوللي المجاور لقماطة.

فأناب عنه (الحاج علي المنقوش)، في قيادة جبهة قصر حمد، وتوجه هو بالقوة التي جمعها فوراً، وصار يسير لجهة مسلاتة وقماطة، سيراً سريعاً.

فوصل إلى حدود مسلاتة الشرقية أول فبراير سنة 1923م، أي بعد احتلال قماطة بيوم واحد.

ولما وصل أخبر بأن قماطة احتلها جيش العدو بالأمس، بعد معركة طاحنة، وقعت بين جيش العدو، وأبناء قماطة، في موقع يقال له رأس غزال.

فحزن هو ورفقاؤه لذلك، وأصابهم كدر عظيم؛ لعدم اشتراكهم ونجدهم، في هذا الصراع الباسل.

وكان السبب في تأخر سعدون عن الوصول لقماطة - قبل القتال أو أثناءه - يرجع إلى أنه لم ينذر بمجيء العدو، في وقت متسع.

ثم جاءت إليه - بعد ساعات قليلة - أخبار أخرى، تفيد أن جيش العدو - الذي يقوده بتساري - قد خرج من قماطة، يريد احتلال مسلاتة من الشمال الشرقي، وجيشه الثاني - الذي يقوده غرسياني - قد خرج من ترهونة الغربية، يريد احتلال مسلاتة من الجنوب الغربي.

فعند ذلك قام مسرعاً، ووجه مجاهدي مسلاتة للدفاع عنها من جهة الغرب، قبل أن يصل إليها غرسياني.

ثم تقدم هو بجميع قواته إلى النقازة أو السلحية، وكَبُنَ فيها بوادٍ قرب مبيت العدو في طريقه لمسلاتة.

وعند طلوع الفجر باغت سعدون بقواته جيوش العدو، صاباً عليهم نيران أسلحته، كالمطر الوابل، فارتبك العدو من تأثير الهجوم المباغت عليه، ولم يستطع أن يتمالك جاشه. إلا بعد فترة ساعات، إذ توهم - بذلك - أن العرب المتصدين له أفواج كثيرة، لا أنهم مئات دون الألف.

ولكن الواحد منهم - في اقدامه، وتضحيته بنفسه في سبيل
وطنه - يعد بعشرة من جيش العدو.

ولهذه التأثيرات الفكرية عليه، ارتدُّ عن موقفه إلى الوراء، تاركاً
خلفه - من العجلة - طائفة من الغنائم المتنوعة.

اغتنمها منه المجاهدون.

ولما فطن إلى تفوقه العسكري الضخم عن رجال سعدون، ولَّى
إليهم بهجوم كثيف غائظ.

وناضلوه ببسالة إلى أن استشهد أغلبهم.

ومع ذلك استطاع سعدون وأتباعه أن يحبسوا جيش العدو عن
التقدم، حتى تمكنت مسلاتة من اخلاء البلاد، ونقل الحريم والأطفال
إلى البرية، البعيدة عن جيش العدو.

ولما أخبر باخلاء البلاد من السكان، انسحب من النقازة إلى
مكان جنوب مسلاتة، يسمى القطارة، واتخذها مركزاً لقيادته.

واحتلت مسلاتة يوم 4 / فبراير سنة 1923 م.

وانضم إلى سعدون - في القطارة - جماعة مسلاتة، وشقران،
بعد أن أجلوا عائلاتهم عن طريق العدو، وانضم إليه جماعة من
الخمس، والساحل، وزليطن، بقيادة عبد الله تامسكت.

الخامسة: واقعة وادي اكعام

ولما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في وادي عين اكعام،
الذي يقع بين الساحل وزليطن.

وسببها أن سعدون لما انسحب من النقازة إلى القطارة، انضم
إليه عبد الله تامسكت، ومن معه من المجاهدين، المنسحبين من
العزيزية، أمام تلك الجيوش، وانضم إليه - أيضاً - مجاهدو مسلاتة،
وشقران، بعد أن أجلوا عائلاتهم عن طريق العدو، وكذلك مجاهدو
الخمس، والساحل، وزليطن.

وعقدوا اجتماعاً عاماً بحضور سعدون، وتامسكت، وجميع
الضباط، ورؤساء المجاهدين، وشيوخ القبائل، تدارسوا فيه حالتهم
الراهنة - في ذلك الوقت - من جميع جوانبها.

واقنعوا قناعة تامة بأنهم لم يبق لديهم ما يقويهم على التصدي
لتلك الجيوش الضخمة، التي وجهها العدو لاحتلال المناطق
الشرقية، ولا ما يمكنهم من إيقاف زحفها المتواصل، وتيار سيلها
الجارف.

واتفقوا على أن تكون مهمتهم في المستقبل أمرين:
أولهما: أمر جميع أهل البلدان الشرقية بإخراج عائلاتهم،
وجميع أسرهم إلى أراضي البادية البعيدة عن طريق تلك الجيوش،
مع حمل كل ما تتوقف عليه ضرورة حياتهم المعيشية، وإخلاء البلاد
من كل ما يمكنهم نقله، أمام تلك الجيوش السلابة النهاية، حتى لا تجد في
البلاد ما تسلب، ولا ما تنهب.

وثانيهما: العمل على تعطيل تلك الجيوش عن سرعة التقدم، بأقصى مايمكن من أنواع المقاومة لتمكن الأهالي من إخلاء البلاد؛ ولذلك أرسلوا لكل بلاد من أمرهم بالجلء فوراً لأراضي البادية.

وتوجه عبد الله تأسكت وأتباعه - بأمر من سعدون - للمجاهدين المرابطين في رأس الحمام - بتشديد الميم - وهو جبل مرتفع يطل على مدينة الخمس، من الناحية الشرقية، وهو كالفاصل بين الخمس والساحل، ومكانه بالضبط - على الضفة الشرقية لوادي لبدة الأثرية.

وانضم إليهم عبد الله تأسكت ورفقاؤه، وتولى قيادتهم فيه بأمر من سعدون، ونظمهم ورتبهم، وجعل بعضهم في رأس الحمام المذكور، وبعضهم في رأس لبدة، وبعضهم في رأس كُحَلَة، وهما رأسان محاذيان لرأس الحمام.

وكنوا - هناك - لمراقبة الطليان في الخمس، ورأس المرقب، إلى أن خرجت عليهم قوة بيتساري من مدينة الخمس، واصطدمت بهم في البرءوس الثلاثة، وذاقت منهم الريلات، وكبدوها أفدح الخسارات.

ودامت المعارك - في رأس الحمام المذكور - ثلاثة أيام متواليات.

قال في معجم معارك الجهاد في ليبيا مانصه: «وقد تحركت هذه القوات (يعني قوات الطليان التي يقودها بيتساري) يوم 20 فبراير سنة 1923م، من الخمس نحو رأس الحمام، في طريقها إلى زليطن، فتصدت لها قوات من المجاهدين، تقدر بحوالي ثمانمائة مجاهد، تحصنت بذلك الموقع الاستراتيجي الحربي الهام.

ونشبت - هناك - معركة مريرة تعتبر من أهم المعارك التي

خاضها المجاهدون في الدفاع عن زليطن»⁽¹⁾ إهـ.

وقد بقي سعدون في القطارة - التي هي بلدة عَمَامِرَة مسلاتا إلى أن جاءه الخبر في اليوم الثالث لمعارك رأس الحمام، بأن جيش الجنوب - الذي يقوده غرسياني - قد خرج من ترهونة، ووصل بلاد الداون.

فعند ذلك انسحب من القطارة، وسار مشرقاً، حتى وصل رأس الحمام في آخر النهار من ذلك اليوم، واتصل بعبد الله تامسكت الضابط التركي الشجاع الخبير بسياسة الحرب - فأمره بالانسحاب لئلا يطوقه جيش غرسياني من جهة الجنوب.

قال ابن مسعود - في تاريخ رمضان - «وقد اضطروا بعد معركة طاحنة إلى الانسحاب عنه محتاطين - بذلك - محاولة تطويقهم وتقول المصادر الإيطالية: إنه قد استشهد من المجاهدين ما يقرب من مائة شهيد،

والتطويق المذكور الذي أجبرهم على الانسحاب من رأس الحمام - مع نقصان الذخيرة - هو اتجاه حملة غرسياني نحوهم من ترهونة على طريق الداون والقطارة جنوب مسلاتة.

فانحدروا جنوباً ملتحقين بالعر الحامل لآلات سعدون الثقيلة المتوجة في السير لوادي ماجر»⁽²⁾ إهـ.

وسار سعدون وجيشه - بأسلحتهم الخفيفة، وبعض الثقيلة

(1) ص 238.

(2) ص 283 - 284.

لواذي اكام، وكمنا للعدو على ضفته الشرقية، وجعلوا - هناك -
خنادق، وتحصينات.

قال ابن مسعود - في تاريخ رمضان - مانصه: «وكان
المجاهدون - بقيادة سعدون - كامنين لهم في وادي اكام.

وفي هذا الوادي تجلت اصدق الآيات، في تسابق المجاهدين
على الاستشهاد، فخوض النار - عندهم - ولا العار، والفناء النبيل،
ولا البقاء الذليل، وامتلؤوا ثقة بأنفسهم في هذا التصدي، أنهم رغم
قلتهم، ونقصان ذخائرهم، لمستطيعون إيقاف زحف العدو، خمس أو
أربع ساعات على الأقل، ريثما تخلى زليطن تماماً في وجهه
البغيض.

وتمركزوا له على طول الحافة الشرقية من وادي كعام، وماكاد
جند العدو يطل عليهم فجراً من الجهة الغربية - بعد مابات ليلته قربها
في الساحل - حتى فوجيء بنيران الأسلحة الخفيفة، وبعض الثقيلة،
تحصد مقدمته، وتمتد مراميها إلى مؤخرته، واندفع هو بجموعه إلى
وسط الوادي، يريد تحصينات المقاومين له.

وعندئذ اشتدت بينهما الملحمة الرهيبة، وتعاضمت خسائر
العدو البشرية؛ لأنه صار مكشوفاً لهم عياناً في قلب الوادي، بينما
كان المجاهدون الفدائيون يفتكون به خلف معاقلهم.

وكان أسطوله يتابع سير الحملة قرب الشواطئ، فلما اشتد
على الحملة ضغط المجاهدين في القتال، أشار بينتساري إلى ذلك
الأسطول بقصف تحصينات المقاومين، ففعل، وصارت قذائفه تدك
أمكنتهم التي اعتصموا بها، دكاً متواصلاً.

كما اشترك معه - أيضاً - في العمل طائراتهم بقذائفها من الجو.

فاضطر الفدائيون للتزول إلى مصارعة العدو متلاحمين معه برصاص البنادق والسلاح الأبيض.

ولما رأوا تناقص عددهم بالاستشهاد، وتناقص ذخيرتهم بالاستعمال، وتفوق خصمهم عنهم في كل شيء، تسلل بهم سعدون في طريقه بين سواني زليطن نحو وادي ماجر.

وتقدم العدو إلى الشرق، ودخلت قوات بيتساري زليطن بعد نصف النهار يوم 23 / فبراير سنة 1923م،⁽¹⁾ انتهى كلام ابن مسعود.

ولما وصل سعدون إلى ماجر سأل عن أهالي زليطن؛ فأخبر بأنهم خرجوا جميعاً إلى أراضي البادية، البعيدة عن طريق العدو، بعائلاتهم، وأموالهم المنقولة، ولم يلق العدو في البلاد إلا المنازل الخالية، والأشجار الصامتة، فهان عليه الأمر بعض الشيء.

وبادر فأبلغ أخاه أحمد بك - حاكم مصراتة - بضرورة جلائهم السريع مع الحكومة والأهالي عن البلاد.

كما طلب من الحاج علي المنقوش - القائد لجبهة قصر حمد - التعجيل باخلائها، والانتقال إلى برية عبد الرؤوف.

والواقع أن مصراتة - منذ كانت المعارك دائرة في رأس الحمام - أخذت - بأمر أحمد بك - تتنازع عن البلاد ليلاً ونهاراً، ناقلين معهم كل ما استطاعوا نقله من أشياءهم، وأرزاقهم.

ثم تبعتهم الحكومة، واستقرت - بصفة مؤقتة - في مكان بالبادية يسمى أسيوطة، في الجنوب الغربي بالنسبة لمدينة مصراتة، على مسافة ثلاثين كيلومتراً تقريباً.

(1) انظر ص 284 وما بعدها.

وبعد ذلك استراح سعدون في وادي ماجر - جنوب زليطن - إلى وقت العصر، وبعد صلاة العصر أمر قوات المجاهدين بمغادرة وادي ماجر، فغادروه.

وواصلوا سيرهم إلى عبد الرؤوف، حتى وصلوه آخر الليل، قبل طلوع الفجر.

وأما جيش الجنوب - الذي قاده قرسياني - فقد تحرك من الدّاؤون لتطويق سعدون في القطارة، ولما وصلها وجد سعدون منتقلاً منها، فزحف إلى رأس الحمام؛ لتطويق سعدون فيه، ولما وصله وجد سعدون منتقلاً منه، فزحف إلى وادي اكعام، ولما وصله وجد المعركة منتهية، ووجد سعدون منتقلاً منه، فزحف إلى وادي ماجر؛ لتطويق سعدون فيه، ولما وصله وجد سعدون منتقلاً منه.

فعند ذلك مال إلى الشمال، ودخل زليطن، واجتمعت جيوش العدو كلها في زليطن، وبقيت فيها يومين، تفكر في كيفية القدوم على احتلال مصراته.

قال ابن مسعود - في تاريخ رمضان - مانصه «وبعد ماسقطت زليطن، لم يتمكن غرسياني من تطويق سعدون، والمجاهدين المرافقين له؛ لأنهم انسحبوا فوراً إلى عبد الرؤوف، حيث توجد فيه ذخائر وأسلحة، وبذلك الانسحاب نحو عبد الرؤوف خلت طريق مصراته، أمام العدو من المقاومين له»⁽¹⁾ إ.هـ.

(1) ص 287.

ملحق لمعارك السلحية والحمام ووادي الكمام

ولما خرج سعدون ورفقاؤه من وادي ماجر انضم إليهم عبد الله تامسكت ورفقاؤه، وكذلك عون سوف ورفقاؤه، وساروا جميعاً حتى وصلوا عبد الرؤوف، في قوة تتكون من أربعة آلاف وخمسمائة مجاهد.

وقد أمرهم سعدون باخلاء مخازن عبد الرؤوف فوراً من جميع الأسلحة والذخيرة، ونقل ما يمكن نقله منها إلى أسبوطنة، وقصر الخزين، وزدّم ما لا يمكن نقله منها في دهاليز عبد الرؤوف التي تحت الأرض، فنقلوا منها من الأسلحة الإيطالية - التي غنمت من الطليان في سبخة أبي فار - مدفعين ثقيلين، ومدفعين خفيفين سريعَي الإطلاق، وخمسة مدافع رشاشة، وكمية من سلاح بندق أبي ستّة، وكمية من صناديق القنابل، وصناديق الخرطوش، وردموا مدفعين كبيرين جداً، لا يمكن نقلهما في أرض البادية، وبعض رشاشات فيها نقص وخراب، وجميع البنادق التي عدت ذخيرتها، وقد تم جميع ذلك قبل طلوع الشمس يوم 24 / فبراير سنة 1923 م.

وقدم عليه الحاج علي المنقوش - القائد لجبهة قصر حمد -، والهادي الزريدي - الضابط المسؤول عن العسكر النظامي - فيها بعد اخلائهما لتلك الجبهة، وسحب جميع ما فيها من جنود وأسلحة إلى منطقة السكت - في تلك الليلة - بنظام دقيق، جعل الطليان - الذين هم في قصر حمد - لم يشعروا بذلك الانسحاب.

فعند ذلك أمر سعدون بالتقاء القوتين، واجتماعهما في منطقة أسبوطنة قبل الليل، القوة القادمة من الجهات الغربية، والقوة المنسحبة من قصر حمد.

وهي - أي أسيوطة - بالنسبة لعبد الرءوف تقع في الجنوب الشرقي، على مسافة عشرة كيلومترات، وبالنسبة للسكت تقع في الجنوب الغربي على مسافة خمسة عشر كيلومتراً تقريباً.

وكان الأمر كذلك، فقد سارت القوتان، واجتمعت هناك قبل الليل، ومكث سعدون في منطقة أسيوطة ليلة واحدة.

وقد تقدم أنه قبل أن يغادر ماجر خاطب أخاه أحمد، والحكام المدنيين، بجهاز التلفون الذي معه، وأصدر لهم أمره بإخلاء مصراتة من السكان، محافظة على أرواح صغيرة بريئة، وعلى شرف النساء والعائلات.

وفعلاً فقد رحل على وجه السرعة النسوة، والأطفال، والشيوخ، والعجزة، وتمت عملية الجلاء عن مدينة مصراتة، وضواحيها، وأطرافها من جميع السكان، في اليوم الذي وصل فيه سعدون عبد الرءوف، وهو يوم السبت 9 رجب سنة 1341 هـ الموافق 24 فبراير سنة 1923 م.

وأصبحت البلاد خالية تماماً من السكان.

وماضى يومان ونصف على إخلاء البلاد، حتى بدأت طلائع قوات العدو الأربعة - وهي قوة بيتساري، ومرتزة يوسف خريش، وقوة غرسياني، ومرتزة أحمد العياط الفساطوي - الملقب بنصف البوتسعين - تزحف على أراضي أبي روية، وزاوية المحجوب، في تحفز وحذر، كالجراد الصغير الزحاف، المسمى - في لغة أهل ليبيا العرفية - بالدُّبُون، قادمة على طريق البرمن جهة زليطن، تأكل الأخضر واليابس، وتسحق كل شيء في طريقها، وذلك يوم الاثنين 11 رجب سنة 1341 هـ الموافق 26 فبراير سنة 1923 م.

قال علي المصراة - في تاريخ سعدون - «وكانت تحلم أنها ستجد في مصراة شيئاً، ولكن خاب ظنها، فلم تجد إلا الصمت الرهيب، والسكون الذي يحمل وراءه ألف قصة.

لقد وجدوا البلاد خالية، وكم كان أسف الطليان؛ لأن هذه القوة الزاحفة، والأوباش المجردين من الضمير والشرف كانت تحمل معها من قائد الطليان أمراً بالاباحة، وهو ما يسمى بالإيطالية (كارطة بيانكة) أي ورقة بيضاء، ومعناها الاباحة التامة، في المال، والدم، وكل شيء يجدونه.

ولما أخذ أفرادها يدخلون البيوت، ويجوسون خلال الديار يبحثون، فلم يجدوا شيئاً.

لقد نظم سعدون خطة الانسحاب العسكري من الميناء، والخط الدفاعي، ونظم سحب الذخيرة من مخازنها، ونظم انسحاب الأموال، والعائلات من البيوت، حفظاً للشرف والأرواح.

ولذلك أسف الطليان على أن غنائمهم لن تكون شيئاً، وأخبرت البائدة الحاكم الإيطالي بأنهم لم يجدوا في مصراة شيئاً أمامهم» انتهى كلام علي المصراة^(١).

وكانوا يظنون أن بلاد مصراة سيبقى فيها سكانها، بجميع أموالهم وعائلاتهم، وأن سعدون إن هرب منها أمامهم، وتركها لهم، تمتعوا فيها كيف شاءوا، وإن بارزهم فيها بقواته الحربية طوقوه بتلك الجيوش الأربعة، من الغرب، والجنوب، وخرجت عليه القوة المتمركزة على ميناء قصر حمد من الشرق، وضربته الأساطيل البحرية

من جهة الشمال، والطائرات من جهة الجو، وتصير مصراته كلها ناراً، وجحيماً، وهناك يهلك سعدون وقواته، وتهلك البلاد - أيضاً - عن آخرها لا محالة، هكذا ظنوا.

ولكن خيب الله ظنهم، فقد أبعد سعدون عنهم جميع الأهالي بعائلاتهم وأموالهم، وأبعد عنهم الآلة الحربية - أيضاً - ووقف بينهم وبين الأهالي في منطقة أسيوطة مثل الأسد.

وقد تقدم أنه لم يمكن في أسيوطة إلا ليلة واحدة، وفي صباح اليوم الذي بعدها انتقل إلى منطقة جيمي - وهي شرقي أسيوطة، على مسافة ستة كيلومترات - واجتمع فيها بأكثر أعيان البلاد ومشائخها، وخطب فيهم، وطلب منهم في خطبته قبول استقالته من قيادة الجيش، وألح عليهم في ذلك، فلم يقبلوا منه.

وقالوا - له - نحن رجالك يابي، فاطلب بنا ماتريد، سوى التنازل، فإنه غير مقبول منك.

فعند ذلك طلب منهم تقوية الجيش فقالوا - له - كلنا جنود ولا بد أن يأتيك إثنان من كل بيت فيه ثلاثة رجال، ورجل واحد من كل بيت فيه رجلان، ولا يبقى للعائلات إلا رجل واحد، يأتهم بالماء من الآبار، ويعالج من مرض منهم، فهل رضيت؟.

فقال: الجيش محتاج إلى المؤنة.

فقالوا - له - أمهلنا اليوم وغدوة، وفي اليوم الثالث يأتك ما يكفيهم أسبوعاً، ثم بعد ذلك يأتك راتبهم في كل أسبوع، فهل رضيت؟.

فقال: قد جاءت معنا عائلات من البلدان الغربية - التي هي

غربي مدينة لبدة - بعضها من الزاوية الغربية، وبعضها من العجيلات، وبعضها من صرمان، وبعضها من النواحي الأربعة، وبعضها من غريان، وبعضها من ترهونة، وبعضها من مسلاتة، وبعضها من قماطة، وبعضها من سيلين وشقران، وبعضها من الخمس.

وقد جاءوا تاركين لديارهم، متباعدين عن بريتهم، فارين من عدوكم وعدوهم، قادمين إليكم كقدوم المهاجرين إلى الأنصار.

فينبغي لكم أن تعاملوهم معاملة الأنصار للمهاجرين، فلا تجعلوا لأنفسكم أرضاً زائدة عليهم، ولا ماء زائداً عليهم، ولا عشباً زائداً عليهم، ولا زرعاً زائداً عليهم، بل أجعلوهم اخوة، شركاء لكم في جميع مآذركم، بحيث إذا جاء أحدكم لزرعه ووجد أناساً يحصدون منه ويأكلون، فلا يقول لهم هذا زرعي فاجتنبوه، وإنما له أن يحصد منه، ويأكل مثلهم لا غير، حتى يتم، أو يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فقالوا - له - سمعاً وطاعة، نحن وجميعهم شركاء متساوون في كل مآذركم، فهل رضيت؟

فقال: يجب عليكم وعليهم - أيضاً - احترام الزرع، الذي منه القوت حتى يطيب، ويحصل منه الانتفاع للجميع، ولم يبق على تمام طيبه إلا شهر مارس القادم.

وحينئذ فيجب عليكم نقل جميع العائلات إلى أراضي ورفلة؛ لاتساعها، وقلة وجود الزرع فيها، وبُعْد مسافتها عن العدو، واجتناب أراضي مصراتة وزليطن؛ لضيقها، وكثرة وجود الزرع فيها، وقرب مسافتها على العدو.

فقالوا - له - سمعاً وطاعة، فلا تمضي ثلاثة أيام إلا وجميع العائلات في أراضي ورفلة، فهل رضيت؟.

فقال: الرضى في الوفاء بما ذكرنا.

وبقي في جيمي ثلاثة أيام، ثم انتقل إلى بشر القديرية - وهي جنوب جيمي، على مسافة عشرة كيلومترات - واجتمع فيها بالجيش النظامي، وخطب فيهم خطبة مؤثرة، ومكث فيها ثلاثة أيام - أيضاً، ثم انتقل إلى منطقة المشرك - وهي جنوب القديرية، على مسافة عشرة كيلومترات، ثم انتقل إلى منطقة أم العرفج جنوب المشرك على مسافة عشرة كيلومترات، واتخذها مركزاً عاماً لقيادة المجاهدين.

ومن هنا تعلم أن أم العرفج تقع جنوب تلك المواقع كلها، لكنها بالنسبة للمشرك على مسافة عشرة كيلومترات، وبالنسبة للقديرية المقابلة لتاورغاء من الجهة الغربية على مسافة عشرين كيلومتراً، وبالنسبة لجيمي الواقع شمال تاورغاء على مسافة ثلاثين كيلومتراً، وبالنسبة لمصراتة على مسافة ستين كيلومتراً.

وانتقلت جميع العائلات إلى أراضي ورفلة، جنوب أم العرفج، على مسافات مختلفة، وانتشروا فيها، فأهل الجهات الغربية كلهم استوطنوا السوديان الثلاثة الغربيات، وهي المردوم، وغبين، وسوف الجين، وأهل الساحل وزليطن استوطنوا بنعزار، وقرارة القطف، والمخرم، الذي فيه قلعة الشيخ، وأهل مصراتة استوطنوا ثممد أبي خطوة، والسدادة، ونفد.

واستقبلتهم قبائل ورفلة بالفرح والسرور، والهدايا والضيافات، وقالوا - لهم - أرضنا كلها لكم مادمتم فيها، لا سيما قبيلة الطبول،

فقد وقفت لإعانة مصراته وقوفاً كاملاً، وأسعفتهم بجميع أنواع الإعانات.

واستراح الناس هناك، وتخشنوا، وكونوا لأنفسهم حياة جديدة في تلك الوديان والشعاب.

قال ابن مسعود - في تاريخ رمضان - «وارتحل جميع أهالي المناطق الساحلية - هرباً من العدو - إلى أراضي البرية الجنوبية الخصبة، التي تتوفر فيها معاطن الماء، وكونوا فيها حياة جديدة، تحت الخيام والزرائب والأكواخ والمغائر، وكان بعضها معزولاً عن أحياء الأسر والعائلات، فاتخذت أسواقاً تجارية للسلع، وبيع الحيوانات، والأسلحة، وممارسة الحرف، والصناعات التقليدية.

وكانت منازل مصراته، وماجاورها بوادي نفد، ومنازل القادمين من شمال طرابلس وجنوبها، وهم المحاميد، برئاسة سوف، وبعض أعيان الزاوية الغربية، وترهونة، وغيرهم، كانت بوادي سوف الجين، ولم تستقر الأسر الفقيرة في تلك الأمكنة الخلوية، إلا بعد أن تحملت أثناء نزوحها من ميثاق السيف جنائنة في الأرض الشائكة، وعلى الحصى الناجس للأقدام، مع ثقل ماترفع فوق رأسها، وعلى ظهرها، ما لا يتحمله عادة إلا أرباب العزم القوي، والصبر الطويل»⁽¹⁾. انتهى كلام ابن مسعود.

وانتقلت - أيضاً - حكومة مصراته المحلية إلى منطقة السدادة، واستقرت هناك، وأنشأت فيها إدارة، وسوقاً لجميع البضائع والمصالح.

(1) ص 287 - 288.

وأما مركز المجاهدين فقد بقى في أم العرفج إلى واقعة
المشرك.



السادسة: معركة المشرك

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في منطقة المشرك،
التي تقدم ذكرها.

وسببها أن الطليان لما احتلوا مصراتة، صاروا يفكرون في
احتلال تاورغاء،

وقد جاءتهم الأخبار - في مصراتة - بأن سعدون تمرکز قريبا من
تاورغاء، ويتوارد عليه المجاهدون، وينظم نفسه لمواصلة حربهم؛
فأشغل هذا النبا بالهم، واهتموا له كثيرا.

قال ابن مسعود - في تاريخ رمضان - «ومن عادة الجبان الرعديد
أن يعيش - أيام حياته - متخوفاً من خصمه الشجاع، المخاطر بنفسه،
حتى لو كان هو متفوقاً عنه في كل شيء، من ضخامة الجيوش،
ومعدات القتال، وهتكت تأثيراً ما أصاب العدو من العرب في مقاومتهم
الأخيرة له من الخسائر الكبيرة المتنوعة، رغم ضالة عددهم وعددهم.

لهذه الأسباب بقي نحو شهرين في مصراتة، من 26 فبراير إلى
نهاية إبريل سنة 1923م، يهيئ نفسه للقيام بتحرك جديد، حاسم
قوي؛ ليقضي به على سعدون وجيشه، قضاء مبرماً، ماداموا في حالة
إعياء شديد، وعوز للعتاد والميرة.

ولم يخف على سعدون ما يبيت له العدو، ولتوقعه مكره وغدره
في أية لحظة، أخذ يبعث بدورياته الاستكشافية عنه إلى جهة تاورغاء
وأطرافها، وقد صح ماتوقعه.

فالأهمية تاورغاء - أيضاً - لدى العدو بالنسبة لحماية مصراته من الشرق، وقربها إلى معسكر المجاهدين، زحف عليها بأول يوم من شهر مايو.

وعندما رأى أبناؤها تقدمه نحو بلدتهم تجاروا؛ فتقلدوا أسلحتهم النارية والبيضاء، واشتبكوا معه في قتال باسل دام، ما كان يحسب أن يجده من هؤلاء الفلاحين السمر.

وكان من شهدائهم الأعيان - في هذا الكفاح - المجاهد البطل (السيد خالد مدالي).

ثم بتفوق الطليان الكبير عنهم - جنداً وأجهزة - تمكن من احتلالها في نفس اليوم المذكور.

وشعر سعدون من سقوط تاورغاء في يد العدو باقتراب مجيئه إليه، فأرسل سرية من الفرسان تستطلع تحركات العدو نحوه، وكان من بين فرسانها البطل عون سوف، والشاب الجريء إبراهيم بن رمضان السويحلي.

وبأول ظهور الصباح شاهدوا طلائع العدو تتقدم نحو سواني المشرك المحاذية أرضها لأم العرفج، وخلف طلائعه جيش ملأت كثرته سهول الجهة، فأسرع اثنان إلى سعدون، وأخبراه بما رأوا.

ومن سوء حظ المجاهدين أن سواني المشرك، التي اختراها العدو لنشوب المعركة، لم تكن أرضها بالنسبة لهم صالحة للقتال؛ لأنها مكشوفة الوسط والجوانب، وليس فيها أي متقى طبيعي أو إنشائي لحرب المقاومة والدفاع، فهي خالية بتاتاً من الأودية والمرتفعات والأشجار والحواجز الترابية، نظير ما هو موجود من هذه الأوضاع في رأس الحمام، وعين اكام، ومصراته مثلاً.

ولفقدتها لهذه المزايا الدفاعية للمقاومة لا تكون لائحة إلا
لتصارع الجيوش الكبيرة المتكافئة في العدد والعدد، لا لآل
وثلاثمائة مجاهد (1300) تنقصهم الذخيرة والأسلحة والميرة، مع
توفرها عند خصمهم، الذي تتدفق عساكره عليهم.

ومع هذه الموانع كلها فقد برز سعدون، وكل واحد منهم كما
قال الشاعر:

وإذا لم يكن من الموت بد * فمن العار أن تموت جباناً

ولما وضحت لسعدون رؤية العدو، وهو منتظر لجواده، الذي
طالما أنقذه بجريه - كالغزال الشارد - من المخاطر في أخرج ساعات
القتال.

عندئذ أوما لإخوانه بالهجوم الفدائي، فاندفعوا إلى العدو،
اندفاع الليوث، للفتك بفرائسها المختبلة.

وأحدث هجومهم السريع المباغت زعزعة واضطراباً في جيش
الكولونيل (روجيري).

الأمر الذي مكنهم من أن ينفذوا إلى قلب صفوفه بالسلاح
الأبيض، ومحاربة أطرافه الأخرى بالأسلحة النارية.

وكان سعدون يركض من جانب إلى جانب مشجاً إخوانه،
ومشاركاً - إياهم - في القتال الملتحم، ومنادياً عليهم بالصبر والثبات،
ومضاعفة الفداء.

ولتضعف العدو من احتدامه بهجومهم القوي لاحت عليه
دلائل الانهزام، ولكنه دفع احتياطيه إلى المعركة، بهجوم مضاد
عنيف، وعلى الرغم من ذلك فلم يحدث في صفوف المجاهدين
ماكان يرجوه العدو، بل لاحت عليه علامات الهزيمة أيضاً.

ولكن قدر الله - في هذه الأثناء - أن جواد سعدون أصابه طلق ناري ؛ فهوى على الأرض نافقاً، وبادر إخوانه فقدموا له جواداً آخر، وبينما كان يهم بركوبه أصابته من الأعداء ثلاث عيارات نارية، واحدة أصابت رجله، والثانية أصابت صدره، والثالثة اخترقت رأسه، وهي التي قضت عليه ؛ فسقط على إثرها شهيداً.

كما أصيب - معه في تلك اللحظة - واستشهد ضابط الرشاش - الذي كان بجواره - وهو البطل سالم مسعود الشرفي المعداني .

وماكاد المجاهدون يرون سقوط سعدون، وروحه الطاهرة فائضة إلى ربها، ويسمع بذلك إخوانه المتباعدون عنه - وهم يقاتلون - حتى رانت على قلوبهم الأحزان المبرحة، والكآبة الشديدة، والتأثر البالغ حد الدهول ؛ لعظم هذه الكارثة المفاجئة، ثم لعدم التعيين - من قبله - لوكيل عنه يتولى أمر قيادتهم.

اضطروا للتراجع من المعركة عن موقفهم المتقدم، وانتهز العدو ظاهرة الارتباك - التي جرت لهم أمامه - وانسحابهم، فاعتبر المعركة انتهت في صالحه . انتهى كلام ابن مسعود بنوع تصرف .⁽¹⁾

ثم قال : «وتأييداً معززاً لما تناولناه من الشرح لظروف وكرثة المعركة - بسواني المشترك - نسوق فيما يلي ما شهد به العدو فيها للعرب من الشجاعة الفائقة، وما قدر به من آيات البطولة لقائدهم سعدون .

فقد جاء في معجم المعارك - صفحة 288 و 289 - قوله - نصاً - «وتعترف المصادر الإيطالية الرسمية بسيطرة المجاهدين على

(1) انظر ص 289 وما بعدها.

الموقف في بداية المعركة، وبأن القوات الإيطالية قد وجدت نفسها في المرحلة الأولى للمعركة في وضع مرهق، محفوف بالخطر، ولم يفلح الهجوم المضاد الذي قامت به القوات الإيطالية في السيطرة على الموقف، إلا بعد أن سقط سعدون قائد المحلة؛ فتشتت الشمل، وكانت الغلبة للقوة».

ويستمر الكاتب قائلاً: «ولكن المصادر الإيطالية لا تملك إلا أن تعترف لهذا القائد بشجاعته؛ فقد سجل رسمياً (أنه قد قام بمهاجمة قواتنا بعنف غير عادي، وبشجاعة كانت نادرة حقاً)⁽¹⁾ إهـ.

وقال الزاوي - في جهاد الأبطال - مانصه: «وقد خرج العدو في يوم 4 مايو سنة 1923 م من تاورغاء في قوة كبيرة، وتلقاه المجاهدون في المشرك، ونازلوه القتال.

فكانت معركة حامية الوطيس، دامت من الصباح إلى الظهر، وقد أبلى المجاهدون فيها بلاء حسناً.

وكان محمد سعدون - رئيس المجاهدين - يقتحم صفوف العدو، في جراءة فائقة، مما شجع المجاهدين على الثبات، والتدافع على الموت.

وكانت رغبة التغلب على العدو تدفعهم إلى اقتحام صفوفه، في غير مبالاة به، وكانوا أشبه شيء بالمتبارين في النيل من العدو؛ للوصول بنتيجة المعركة إلى رجحان كفتهم.

وقد كان لكثرة جند العدو، وكثرة معداته أثر واضح من الحد من وصول المجاهدين إلى الغاية.

(1) ص 292 - 293.

وقد انصرف كل من الطرفين المتقاتلين وهو يعتقد أنه مغلوب، انتهى من جهاد الأبطال^(١).

وقال علي المصراطي - في تاريخ سعدون - «وقد كانت طلائع الفرسان - التي أرسلها سعدون - مرابطة على حدود تاورغاء. فخرجت عليهم قوات العدو بتاريخ يوم الجمعة 18 / رمضان سنة 1341 هـ.

ونشبت المعركة بين قوة المجاهدين وقوة الطليان، وأرسل المجاهدون رسولاً - على ضامر - طالبين النجدة.

وبُلغ سعدون أن الموقعة بدأت بين الطرفين في واد المشرك، ودق الطبل، وتواصل دويه في جنبات الصحراء، وصهلت الخيول، وركب الفرسان على الجياد، وانتظمت كوكبة المناضلين والمشاة، وجُهِز المتراليوز، وتسابق المجاهدون إلى ساحة النضال، وتقابل الفريقان في تلك الأرض الجرداء.

وكان البطل سعدون في المقدمة، ممتطياً جواداً أحمر، وهو يلهب الصوف بتكبيراته ووثباته، وينادي بلسان فصيح، وحماس مشير بأعلى صوته - وسلاحه في يده - (مزقوهم مزقوهم) حتى تقهقروا، ولاحت عليهم دلائل الانهزام.

فعند ذلك أصيب جواد سعدون بطلقة نارية، سقط بها إلى الأرض ميتاً، وبينما هم في هذه الحالة، أتت نجدة لصفوف الأعداء من الأحباش، واستطاع العدو - بعد مزيد من المشقة والصعوبة، وبعد

تساقط العديد من صرعاة - أن يتقدم بعد أن سقط حصان سعدون، واستطاع الأحباش أن يعملوا كماشة .

وكان سعدون قد طوقته هذه القوة، بعد صرع حصانه الذي كان يخوض به المعركة، وقام ناهضاً، وأتوا له بحصان محمد الرملي .

وبينما كان سعدون بهم بركوب الحصان، ووضع رجله الشمال في الركاب إنهاالت عليه الطلقات متواصلة، فأصيب في ساقه، والإصابة الثانية في صدره، والإصابة الثالثة - التي قضت عليه - كانت في جبهته، فتدرج في دمه الزكى .

ولما سقط سعدون، وارتبك بسقوطه المجاهدون، انتهز العدو فرصة ارتباكهم، فتقدمت فرقة من الأحباش إليهم، حتى كادت أن تختلط بهم، وقضت على اثنين من ضباط الرشاشات، وهما سالم مسعود الشرفي، وعمر سليمان الضراط، فأما سالم الشرفي فقد أصيب في يده إصابة خطيرة، قبل سقوط سعدون بزمان قليل، وقال له زملاؤه تأخر، وأفسحوا له الطريق، فأجاب لا لا، واستمر في محاولته المستميتة في الدفاع، وعندما حاصرت النيران، وأطبقوا عليه، وعجز عن مواصلة الضرب، حاول أن يتأخر، وهنا هجم عليه الأعداء، وأطاحوا رأسه بالسيف، وقد كان في طول سعدون، ولون بدلتة العسكرية تشبه بدلة سعدون، فلذلك ظنه الطليان عندما سقط شهيداً أنه سعدون، وسرعان ما حملوا جثمانه معهم ظناً أنه سعدون، وتركوا جثمان سعدون طريحاً .

وأما عمر سليمان الضراط فقد أنجده - أول الأمر - مدفعه الرشاش، ولكن صوبت إليه المدفعية الإيطالية الرصاص، حتى أصيب مدفعه، وتكسر، ومات حصانه، وبعد ذلك تقدم إليه أفراد من

الجيش الإيطالي، وأدأله بالسلاح الأبيض، حتى خضبت الأرض بدمائه، والتحق بالشهداء من إخوانه.

وبعد ذلك انسحبت قوات الأعداء، وانسحبت قوات المجاهدين، كل يظن أن خصمه تغلب عليه.

وترك الفريقان القتلى والجرحى « انتهى كلام علي المصراتي باختصار وتصرف كثيرين⁽¹⁾ ».

ومما نقلناه من تلك المصادر الأربعة يعلم أن معركة المشرك لم ترجح فيها كفة انتصار العدو إلا في آخر لحظة، وهي اللحظة التي سقط فيها سعدون، وارتبك فيها المجاهدون، وأنها تشبه واقعة أحد في الجملة، وأنها مما حصل فيها الضرر للطرفين.

فقد هلك فيها من جيش العدو خلق كثير لا يحصيه عدد، واستشهد فيها من المجاهدين نحو مائة وخمسين شهيداً. منهم محمد سعدون السويحلي، قائد الجيش الحربي، وقد تقدم بيان كيفية إصابته.

ومنهم الضابط سالم الشرفي، وقد كان برتبة ضابط من سلاح المتراليوز الرشاش، وكان على متراليوز من نوع مسكوف، وقد تقدم أن الطليان حملوا جثمانه معهم يظنون أنه سعدون.

لكن رويننا عن صديقنا الحاج محمد بن حسونة القراري أنه قال: كنت في واقعة المشرك من أعوان سالم الشرفي على مدفعه الرشاش، ولما عجز عن الضرب طلب على الانسحاب، وطلب مني أن أعيّنه، فنهضت معه حتى قام، ولوى يده الصحيحة على عنقي،

(1) انظر ص 238 وما بعدها.

وقال : انسحب بنا، فسرت به مقدار خمسين خطوة، وهناك أغمى عليه، حتى انفكت يده من رقبتى، فمسكته عن السقوط، وعجزت عن حمله، فأنزلته إلى الأرض، والتفتت.

وإذا بحبشى جاءنا يجري، ولم يبق بيننا وبينه إلا مقدار ثلاثين خطوة، وليس عندي ماأدافع به، فطحرت سالماً على الأرض، وانسحبتُ مسرعاً، ولا زال الحبشى يجري حتى وصل إليه، وشرع في إزالة رأسه، فعند ذلك وصلت إلى رجل من المجاهدين المنسحبين، فوجدني تتحوقل، ونقول: رزانا في هذا الضابط، اللهم أرزه في عمره، فقال ذلك الرجل: ليس عندي إلا طلقة واحدة، ولكن ليس لها خير من هذا الحبشى، الذي أهلك هذا الولد، ووجه البندقية إليه.

وبينما أتم إزالة الرأس، وأخذه في يده، وشرع في القيام، انطلق عليه وجه البارود من ذلك الرجل، وأصابته الرصاصة قبل أن يستوي قائماً، فسقط على الأرض صريعاً، والرأس في يده، ولم يوجد أحد من الأحباش بقربه، ولم يرجع إليه أحد من الأحباش المنهزمين إهـ.

وهذا مما يدل على أن الطليان لم يحموله معهم في ذلك اليوم، وإنما أرسلوا إليه من حمله إليهم في اليوم الذي بعده، وكلام ابن مسعود - في تاريخ رمضان - يشير إلى ذلك، حيث قال: «ولما كان الطليان قد بلغهم استشهاد سعدون بعثوا - سراً - من يأتهم به، وغلط الذين أرسلوهم، فأحضروا لهم جثمان سالم الشرفي، لمماثلته لسعدون في القامة، والزي العسكري، واللون، وشعر الرأس المسترسل قليلاً إلى الوراء، كالعادة التقليدية للفرسان القدامى»⁽¹⁾ إهـ.

(1) ص 293.

ومن شهداء معركة المشرك - أيضاً - الضابط عمر الضراط، وهو ضابط متخرج من مدرسة نوري، وقد تقدم أنه قتل فيها بالسلاح الأبيض.

والضابط سعيد بن موسى البرزان، وهو ضابط مسؤول عن فرقة البرزان.

والضابط عبد الرحمن التريكي البلعزي، من بلاعزة الزاوية الغربية، وهو ضابط متفوق في الرشاشات، وقد أصابته طلقة نارية، وهو يصوب من رشاشه الرصاص إلى صدور الأعداء.

والطاهر ابن الشيخ رمضان أبي تركية، وفيها استشهد بالسلاح الأبيض.

وعبد الله بن مليطان، وقد كان من جنود الرشاشات، ومن المساعدين للشرفي على رشاشه المسكوف، وقد استشهد في سن العشرين.

ورمضان عبد السلام الأدغم، ومحمد مفتاح فتولة، ومحمد بن صالح دقيق، من مصراتة.

والشيخ السنوسي الكاسح، من قبيلة العبادلة.
والشيخ محمد بن عبد الله الدكام من قبيلة الطبول.

ومن الجرحى - في معركة المشرك - الضابط علي إبراهيم القن، وهو ضابط متخرج من مدرسة نوري، وكان برتبة قمتدان للقيادة المشاة، وقد أصيب بطلقة نارية في رجله، حتى انكسرت فخذه، وأصيب حصانه - أيضاً - بضربة مهلكة، ولكن لم يسقط حصانه إلا بعد أن خرج به من ميدان المعركة، وأتاه بعض رفقائه، فحملوه على

جمل إلى الصفوف الخلفية، فسلم من القتل.

ومنهم - أيضاً - الشيخ علي بنيني البلعزي، من مشائخ الزاوية الغربية، ورجالها الفرسان:

وغير هؤلاء من الشهداء والجرحى كثيرون، لم يمكن التوصل لمعرفة اسمائهم، ولكنهم سجلوا في ديوان الشهداء عند ربهم.

جثمان سعدون ودفنه

قال الزاوي - في جهاد الأبطال - «ونظراً لشدة المعركة فقد ترك المجاهدون قتلاهم في ميدان المعركة، كما ترك العدو قتلاه كذلك، وفي اليوم التالي ليوم المعركة رجع الناس إلى محل المعركة لنقل الشهداء.

فنقل سعدون إلى السدادة، ودفن فيها يوم الأحد 20 رمضان سنة 1341 هـ الموافق 6 من مايو سنة 1923 م،⁽¹⁾ إهـ.

وقال علي المصراتي - في تاريخ سعدون - «في يوم السبت 19 رمضان سنة 1341 هـ انتقل المجاهدون من أم العرفج إلى وادي نقد، واجتمعت صفوفهم - هناك - بالقرب من قارة السدادة، وفي يوم الأحد - التالي للمعركة - رجع المجاهدون إلى ساحة المعركة؛ لنقل جثمان الشهيد البطل، فقد كُلف أحمد السويحلي - أخو سعدون - الضابط الذي كان بجانب سعدون عند استشهاده، وهو المجاهد محمد الرملي، وقال له: اذهب إلى ساحة القتال، حيث دارت المعركة، فإذا وجدت جثمان سعدون فأحمله على هذا الجمل، واثبت به إلينا هنا.

(1) ص 342.

وفوراً ذهب ذلك الضابط وأعرانه إلى ساحة المعركة فوجدوا
جثمان الشهيد البطل في مكانه كأنه نائم، وحملوه على الجمل،
وجاءوا به إلى منطقة السدادة .

وحضر المجاهد الكبير محمد سوف المحمودي، وابنه عون،
وأبنا أخيه سعيد وعبد الرحمن، ومعهم كوكبة من الفرسان، قوامها
سبعة وثلاثون فارساً.

وحضر جميع الضباط، والجنود، وفرسان المجاهدين .
وانتظم منهم صفان يؤدون تحية الفروسية والدفاع، تحية البطولة
في خشوع للبطل الشاب الشهيد .

ومن بين الصفيين حمل جثمانه الطاهر، في لحظات رهيبة،
ودفن في مقبرة بجوار قارة السدادة، القلعة المشهورة في وادي نقد
جنوب مصراته، على مسافة مائة كيلو متراً تقريباً.

ولما جاء الناس ليعزوا أهل سعدون قال أخوه، وأقاربه،
وأصدقائه، وقال الضباط، والجنود الذين صحبوه: كل واحد يعزى
نفسه، سعدون للجميع .

وقال المعزون - أيضاً - نَعَمْ سعدون للجميع، فقد بذل روحه
للوطن والواجب، حتى استشهد وهو في الثلاثين من عمره، لن ننساه
أبدًا، انتهى كلام علي المصراتي باختصار وتصرف. ⁽¹⁾

(1) انظر 242 وما بعدها.

ملحق لمعركة المشرك

قال الزاوي - في جهاد الأبطال - «قد كان لموت سعدون أثر يُن في ضعف قوة المجاهدين المعنوية.

فقد كان - رحمه الله - شجاعاً، قوي الإرادة، مهيب الجانب، مقداماً في الحرب، لا يبالي أنزل على الموت أم نزل الموت عليه. وقد أعجب بمضاء عزيمة المجاهدون والجند إلى أبعد حد. فكان - عندهم - مثلاً للرجولة الكاملة، والتضحية الخالصة في سبيل الله والوطن.

ولم يكن أفراد الشعب أقل إعجاباً به من المجاهدين والجند، بل كان لاسم سعدون - في نفوسهم - مكان الاحترام والتقدير؛ لما قدمه من خدمات صادقة لوطنه.

وكان موته في ظروف ساءت فيها حال المجاهدين، وتوالت انتصارات العدو، وكان العثور على مثله - في ذلك الوقت - في حكم المتعذر.

فلهذا كله كان موته محقوفاً بكثير من أسباب اليأس من القدرة على مكافحة العدو، وبفتور في العزائم، وهنت معه قوى الناس المعنوية.

وقد شغل الذين يعينهم الأمر بالتفكير فيمن يخلفه في رئاسة الجيش والمجاهدين.

وقد رأوا للضرورة الملحة أن يعينوا بدله الحاج علي المنقوش.

وانتقل مجلس قيادة المجاهدين من أم العرفج إلى السدادة
بوادي نقد، ونقل إليها ماكان بأم العرفج، من أثقال الجند ومتاعهم.
ويظهر أن في الحاج علي المنقوش حدة في الطبع، جعلت
ضباط الجيش يشعرون بوحشة من ناحيته.
فلذلك تقدموا إلى حكومة مصراتة بطلب تعيين إبراهيم بن
رمضان بك قائداً للجيش، بدلاً من الحاج علي المنقوش.
فوافقت الحكومة على تعيين إبراهيم المذكور، وتم تعيينه في
شوال سنة 1341 هـ. انتهى من جهاد الأبطال ببعض تصرف
وزيادة.⁽¹⁾

(1) انظر ص 342 - 343.

السابعة: واقعة العوكلي ونقطة المحجوب

وإنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في الموضعين المذكورين.

والعوكلي شخص له منزل ومزرعة بقرب رأس حديد، الذي فيه الآن المطار، المسمى بمطار رأس حديد، ويسمى برأس الماغن أيضاً.

وسببها أن الطليان لما انتهوا من واقعة المشرك تركوا تاورغاء، ورجعوا لمصراته، وانكمشوا في مدينة المواطنين بضعة أشهر، وتخوفوا من العرب، الذين جلوا من بلدانهم، وسكنوا في أراضي البادية، حيث رأوهم توغلوا في الصحراء البعيدة، وتمسكوا بالجبال المنيعه، وسكنوا في الأراضي السويرة، التي تصعب على الجيش الإيطالي، وكوّنوا فيها حياة جديدة، وأسواقاً رائجة لبيع البضائع والحيوانات، واتصفوا فيها بالتقشف والتجلد، وبقيت حكومتهم قائمة وجيشهم منتظماً.

ورأوا أنهم لابد أن يعيدوا الكرة على الجيش الإيطالي بالحصار، وقطع طريق المواصلات البرية التي بين مصراته وطرابلس.

فلذلك أخذوا مزرعة العوكلي - التي تقدم ذكرها - وبنوا فيها حصناً، وملؤوه بالمرتزقة الأحباش، وجعلوهم تحت قيادة الكولونيل روجيري.

وأخذوا حوش حميدة - الذي فيه نقطة المحجوب - وجعلوه

حصناً ثانياً، وملأوه بالمرتزقة البيض الأوباش، وجعلوهم تحت قيادة علي الكريتلي؛ لحماية مدينة المواطنين، ولتأمين المواصلات التي تمر مع الطريق الساحلية، بين مصراته وطرابلس.

وسمعو من جواسيسهم أن العرب المهاجرين في أراضي ورفلة حصل لهم نشاط جديد، بسبب تعيين إبراهيم بن رمضان السويحلي، خلفاً لعمه سعدون في قيادة الجيش الحربي.

وأن جميع المهاجرين وافقوا على تعيينه، وأن وفوداً كثيرة جاءت في شهر ذي القعدة سنة 1341 هـ من سوف الجين، وغبن، والمردوم، وبنعزار، وقرارة القطف، وقلعة الشيخ، إلى السدادة؛ للمباركة والتأييد، وجاء إلى السدادة - أيضاً - صفى الدين السنوسي من برقة، وعبد الجليل سيف النصر من الجفرة.

واجتمعت جميع الشخصيات البارزة في السدادة، وعقدوا مؤتمراً عاماً فيها، حضره أحمد بك السويحلي - رئيس حكومة مصراته - ومختار بك كعبار من غريان، وسليمان التواتي من ترهونة، والشيخ محمد سوف من المحاميد، والشيخ علي بنيني من الزاوية الغربية، وخالد القرقي، وعثمان القيزاني من طرابلس، وعبد الجليل سيف النصر من الجفرة، وصفى الدين السنوسي من برقة، وعبد الرحمن عزام من مصر.

واتفقوا فيه على أمرين:

أولهما: السعي في التوفيق بين أسرة رمضان السويحلي وعبد النبي بن خير؛ لوحدة الصف ضد العدو الغازي.

ثانيهما: إنشاء حرب العصائيات، في جميع البلدان التي

استولى عليها العدو في زحفه الأخير، تمسكاً بمبدأ الدفاع عن الوطن، إلى آخر ما يمكن احتماله.

وقرروا أن يذهب قسم من المجاهدين والعسكر لمناوشة الطليان على حدود مصراته، وزليطن، ومسلاتة، وترهونة.

وتنفيذاً لذلك القرار فقد ذهب عبد السلام المريض - في قسم من المجاهدين - إلى ترهونة، وذهب المهدي السني - في قسم آخر - إلى مسلاتة، وذهب علي بحيج - في قسم ثالث - إلى زليطن، وذهب إبراهيم السويحلي، وعون سوف المحمودي - في قسم كبير من مجاهدي مصراته، والزاوية الغربية - إلى مصراته في أواسط المحرم فاتح عام 1342 هـ. الموافق لأواخر أغسطس سنة 1923 م.

قال غرسياني - في كتابه نجو فزان فإن هذا الترتيب، وقع من الطليان موقع الانزعاج والخوف، إهـ.

ولما وصل إبراهيم ومن معه إلى مصراته بادر لمحاصرة الحصن الذي في سانية العوكلي، وأرسل جماعة من المجاهدين لمحاصرة الحصن الذي في زاوية المحجوب.

ولم يطل الوقت حتى تمت محاصرة الحصنين، والحيلولة بينهما وبين المدد إليهما من مدينة المواطنين، قبل طلوع الفجر.

وعند طلوع فجر ذلك اليوم، وهو يوم 7 سبتمبر سنة 1923 م، بدأ مدفع المجاهدين في قصف الحصن الذي في سانية العوكلي.

فنزلت القذيفة الأولى على وسطه، وأصابته مقر الحاكم العسكري روجيري، وقد قيل إنه هلك بها، ونزلت الثانية على جانبه الشرقي فهدمته، والثالثة على جانبه الشمالي فهدمته أيضاً.

فعند ذلك خرجت منه فرقة من الأحباش؛ للهجوم على المجاهدين، واشتبكت معهم في معركة حامية الوطيس.

وخرج الباقون منهم - وهم الأكثر - بنية الفرار مع ظلام الفجر. ولما رأهم خيالة المجاهدين لاحقوهم في السواني والبساتين، وقتلوا من أدركوا منهم، وفرّ الباقون على وجوههم. وأما من هجموا على المجاهدين؛ فقد هلكوا بالقتل عن آخرهم.

واستولى المجاهدون على حصن سانية العوكلي، وغنموا كل ما فيه، من سلاح، وذخيرة، ومؤنة، وخيل، وبغال، وغير ذلك.

وقد هلك - في معركة سانية العوكلي - من جيش العدو نحو مائة وخمسين جندياً، منهم شخص واحد أبيض، وجدت جثته في مقر الحاكم العسكري، بعد زوال بعض أطرافه؛ ولذلك قيل إنه روجيري، والباقون كلهم من المرتزقة الأحباش.

واستشهد - فيها - من المجاهدين نحو خمسة عشر، منهم سعيد ساطي، من سواطي مصراة.

وأما حصن زاوية المحجوب فقد بقي محاصراً إلى اليوم الثاني.

وقد خاطبهم المجاهدون بتسليم أنفسهم فأبوا، فعند ذلك ضربهم المجاهدون بقبيلة من المدفع الصغير، حتى تصدع الحصن، وانهدم جانب منه.

فعند ذلك خافوا، ونصبوا الراية البيضاء، إشارة للتسليم.

وأول من سلم نفسه - رئيسهم - علي الكريتلي، ثم الباقون.

فوجدوا جميعاً من المرتزقة البيض الأوباش، المعروفين باسم الباندة، فأخذوا أسرى.

واستولى المجاهدون على كل مافي الحصن من سلاح ومتاع. ونقلوا جميع الأسرى إلى إبراهيم السويحلي، فأعدم أربعة منهم لجرائم مخصوصة، كانوا قد فعلوها، وصاروا مسئولين عنها. وأفرج عن كثير منهم؛ لأنهم لم يفعلوا شيئاً فيه مسئولية.

وأما علي الكريتلي فقد أرسله إبراهيم إلى السدادة، حيث الحكومة الوطنية، وشُكِّلَ مجلس شرعي لمحاكمته، وبعد استجوابه، وثبوت إدانته، حكم عليه بالإعدام شنقاً، بتهمة الخيانة العظمى، وممالة العدو على وطن من أوطان الإسلام.

ومن أعضاء المجلس - الذي حكم عليه - الشيخ عمر الميساوي رحمه الله.

ولذلك نصبت له مشنقة في السدادة، وشنق فيها هناك، جزاء لمناصرته للطلليان.

ولما قضى إبراهيم على الحصنين المذكورين اتسع له وللمجاهدين المجال، واقتربوا من حصون المواطنين، وصاروا يناوشون الطليان هناك.

وانتقل إبراهيم من رأس حديد إلى كرزاز، واتخذ الغريفة مقراً له - كما اتخذها أبوه بعد رجوعه من القرضابية -.

وجعل مركز المجاهدين في كرزاز - كما جعله أبوه بعد القرضابية أيضاً -.

وأمر المجاهدين بالزحف إلى المواطنين؛ لحصارها - كما فعل

أبوه بعد رجوعه من القرصائية.

وجعل رئاسة المجاهدين لعون سوف بدلاً من الحاج علي المنقوش.

واستمر في حصار المواطنين، وصارت أكثر أجزاء البلاد محررة، وفرح الناس، ودخلوها دخول الفاتحين، وصاروا يتجولون فيها، ومنهم من دخلها بأسرته ومكث فيها، حتى عمرت بالسكان في الجملة.

الثامنة: معركة الكراريم

ولأنما اشتهرت بهذا الاسم لأنها وقعت في مكان بين مصراته وتاورغاء، يسمى الكراريم.

وسببها أن الطليان لما أفلقتهم حركة حرب العصابات، التي أوقعتهم في شبه حصار، ووقفت سداً بينهم وبين التقدم إلى الجنوب.

جهزوا جيشاً كبيراً، قدر بخمسة عشر ألفاً، مركباً من طليان بيض، ومرتزة أحباش، ومرتزة أوباش، من أتباع يوسف خريش، وغيرهم.

ووجهوه - من النواحي الأربعة والعريضة - لطرده الشوار من أماكنهم، التي تمركزوا فيها.

وخرجوا به - أولاً - على عبد السلام المريّض في ترهونة، فدافعهم قدر المستطاع، وقُتل كثير من إخوانه، ولم تمكنهم قتلهم من الوقوف أمام كثرة جيش العدو، فانسحب عبد السلام المريّض، ومن بقي من إخوانه حياً إلى الجنوب، واستمر الطليان في طريقهم إلى الشرق، فكان موقف المهدي السني - في ناحية مسلاته - وموقف على بحيج - في ناحية زليطن - شبيهاً بموقف عبد السلام المريّض، وانتهى الكل إلى نتيجة واحدة، هي انسحابهم.

وتقدم العدو لجهة مصراته، ولم يشعر المجاهدون - في مصراته - بقدوم العدو - من الجهة الغربية - حتى جاءهم النذير

بمخرج العدو عليهم من جهة زليطن، ووصلوه إلى حدود مصراتة الغربية.

فأرسلوا خيلهم للاستطلاع، ولمدافعتهم ريشما يتمكنون من الانسحاب، وتتاح الفرصة لجلاء أكبر عدد ممكن من السكان، الذين رجعوا إليها بعد واقعة العوكلي.

قال الزاوي - في جهاد الأبطال - «أخبرني عون سوف - وهو قائد المجاهدين إذ ذاك - بأن الجيش الإيطالي كان من الكثرة بحيث لو سار في طريقه؛ لما أمكننا أن نقف أمامه، ولما ترك واحداً على قيد الحياة.

وكان الله صور له أولئك الناس الفارين في عينه جنوداً ومجاهدين خرجوا لقتاله فتوقف عن التقدم. وتمكنت خيل المجاهدين من مكافحته حتى خرج الناس من مصراتة على طريق كرزاز.

وقد تعقبته الطائرات، وأخذت تضربهم برشاشاتها وقنابلها، لا تفرق بين النساء والأطفال - الفارين بحياتهم - وبين المقاتلين له.

وقد أثرت - يوم ذاك - تأثيراً كبيراً، لا سيما في البغال والجمال، التي كانت تحمل أثقال المجاهدين.

وقد اشتركت - في ذلك - قوات الجو والبر، حتى أصبح المجاهدون بين نيران الجيش والطائرات.

وقد استمر المجاهدون في انسحابهم إلى الكراريم، وما وصلوها إلا بشق الأنفس، وهناك توقفوا بضعة أيام استردوا فيها شيئاً من نشاطهم»⁽¹⁾. إهـ.

(1) ص 358 - 359.

ولما كمل سبتمبر ودخل أكتوبر سنة 1923م أعاد المجاهدون الكرة على الطليان في مصراته، وصاروا يغزون عليهم، ويناوشونهم فيها.

ورأى الطليان أنهم لم يصلوا إلى نتيجة، وأن عملهم - الذي قاموا به حين ذاك - غير حاسم، مادام المجاهدون يغزون عليهم في مصراته، ويقلقون راحتهم فيها، وأرادوا أن يستعجلوا المجاهدين قبل أن يستريحوا، ويفتحوا لهم باباً آخر.

ولذلك جهزوا جيشاً كبيراً بقيادة الكولونيل (مَارِيَّيْ) وكان في ذلك الجيش عدد كبير من الأحباش، والمرتزقة البيض - فرساناً ومشاةً - وصَبَّحُوا المجاهدين في الكراريم يوم 13 من أكتوبر سنة 1923م.

قال ابن مسعود - في تاريخ رمضان، عند واقعة الكراريم -:
«ولم يخف على إبراهيم وعون سوف أن الخصم، بعد أن حطم كل المقومات في غرب وشمال مصراته، فإنه حتماً سيُذَاهِمُهُمْ بِأَلْيَاتِهِ وجنده في أية لحظة، فارتدوا عن حصاره إلى بئر الكراريم - المقر الرئيسي للمجاهدين - وابتدؤوا يستعدون للاصطدام به.

فجمعوا له أقصى ما أمكنهم جمعه من القوات المحاربة، وقدرت بحوالي (1200) مجاهداً و(200) فارس، ومن بعض المدافع الرشاشة.

وجعلوا خط دفاعهم الأول عند فندق الجمل، وهو يقع شمال الكراريم على مسافة خمسة كيلو مترات.

ونخط دفاعهم الثاني والأهم جعلوه في أرض الكراريم، وامتد طويلاً بين سلسلة الكشبان الرملية، حافرين فيه كثيراً من الخنادق.

وفي يوم 13 / من أكتوبر سنة 1923 م. خرج الكولونيل مازيتي من مصراته مع الفجر، قاصداً فندق الجمل بتلك الحملة القوية من الجند ووسائل الحرب.

وفي الساعة الثامنة والنصف صباحاً اصطدم بالمجاهدين في فندق الجمل، وجرت بينهما معركة أولية شديدة الصراع والفتك؛ لدرجة حملت العدو أن يجعل طائراته تتدخل فيها بقذائفها، وانهارت فوق المجاهدين، تحرق وتجرح وتميت.

وبسبب هذا الطاريء الجوي على المجاهدين تراجعوا وراءهم إلى الكراريم.

وواصل العدو بعد انسحابهم تقدمه إلى خط دفاعهم الثاني في الكراريم.

وهناك تلقوه مشاة وفرساناً بمواجهة ذات كفاح صارم، وثبات كالصخر، لدرجة أن موقفهم هذا العنيف أحدث تأثيراً في خسائر العدو الفادحة في الأرواح.

وانحطت به المعنويات القتالية لعساكره؛ إلى أن اضطر - للمرة الثانية - أن يستعمل طائراته، تخفيفاً لضغط الفدائيين عليه.

وعند الظهر مما زاد في حماس المجاهدين ضراوة وعنفاً تشجيع إبراهيم وعون لهم بالكفاح المرير مثلهم - وهما في المقدمة - بيسالة نادرة، وكانا يحرضان إخوانهما على التسابق للشهادة في معركة ذلك اليوم، حماية للأعراض والكرامة.

ولذلك هانت عليهم نفوسهم، استجابة لنداء البطلين، لا سيما وأنهم قد أحسوا بتفوق العدو، وأن المعركة باتت حاسمة في صالحه.

وقد سقط من المجاهدين - في هذه الملحمة الكبرى - نحو ثلاثمائة شهيد.

وجرح - فيها - كبل من الفارسين المغوارين، إبراهيم السويحلي - قائد العسكر - وعون سوف - قائد المجاهدين - وعدد كبير آخر. انتهى كلام ابن مسعود. (1)

وبالجملة فمعركة الكراريم - هذه - قد أكثر فيها العدو من حرب الطائرات، حيث استعمل فيها طائرات كثيرة، تسلطت على المجاهدين من الجو بقنابلها ورشاشاتها - وهم مشغولون بمقاومة جيشه، الذي جاءهم في الأرض - حتى قضت على ما بقي لدى المجاهدين من إبل، وخيل، وبغال، ومدافع، ورشاشات، ورجال، وبسببها رحجت كفة انتصار العدو.

ولم تفقد مصراتة ثلاثمائة رجل في معركة واحدة إلا مرتين، وهما: أولى معركة وهي يوم احتلال المواطنين، وآخر معركة، وهي معركة الكراريم.

وقد استشهد فيها - من كبار المجاهدين - الفقيه علي المستري، وأحمد أبوظلاق، وأحمد التيهامي اقليصة.

وبها انتهت معارك المجاهبة، ولم يقع - بعدها - إلا حرب المناوشات.

(1) ص 305 وما بعدها.

ملحق لمعركة الكراريم

ولما استنزفت معركة الكراريم أكبر طاقات المجاهدين البشرية،
القادرة على تحمل أعباء الكفاح؛ لما حصل فيها من كثرة الشهداء
والجرحى، والضياع في الحيوانات، التي كانت تحملهم، وتحمل
أثقالهم.

كما استنزفت منهم - أيضاً - معظم كميات الأسلحة والذخائر،
التي غنمها المجاهدون من الطليان يوم الرميّة، ويوم سبخة أبي فار،
وكانت مودعة في عبد الرؤوف.

رأى إبراهيم السويحلي، وأركان حربيه أنه لا فائدة للبقاء في
مواجهة عدوهم القوي، وهم على هذا الوضع السيء.

فلذلك غادروا - إثر انسحابهم من معركة الكراريم - جميع
أراضي مصراتة في الليلة التي بعد المعركة، ومضوا إلى السدادة.

ولما وصلوا السدادة أخبروا بما وقع في الكراريم؛ فصارت
الناس في أسف وحزن شديدين.

وفي يوم 20 / أكتوبر سنة 1923م، اتضح فشل المساعي التي
قررت في مؤتمر السدادة العام، وانسدت الأبواب أمام حكومة مصراتة
في السدادة، بعد أن قرعتها باباً باباً، وانقطع الرجاء من تكوين جبهة
تقف أمام العدو، وصارت الأفكار في بلبلة وحيرة، وانفسح للعدو
الغاشم المجال.

قال ابن مسعود - في تاريخ رمضان: «وعلى الرغم من عدم
نجاح تلك المساعي، فإن إيطاليا علمت بها في حينها من عملائها
الجواسيس».

فخوفاً من أن تنجح تلك المساعي ضدها فيما بعد، استعجلت التنفيذ لاحتلال السدادة، ثم بني وليد.

يدلنا على ذلك ما جاء - بهذا الخصوص - في معجم المعارك (ص 276) إذ قال - عنها - مانصه: «ولم يطمئن المستعمرون إلى وجود المجاهدين في هذا المركز (يقصد السدادة)، ولم يرتاحوا إلى النشاط السياسي الذي كان يبذل في تلك المرحلة؛ لتصفية الجوبين زعماء مصراتة وورفلة، في محاولة لتكوين جبهة جديدة في هذه المنطقة؛ للتصدي للزحف الإيطالي.

فلذلك صدرت التعليمات إلى القيادة العسكرية بالتحرك نحو معسكر السدادة لتدميره.

وقد وضع (مازيتي) الخطة على أساس المباغتة، والهجوم التطويقي من الشرق والجنوب؛ حتى يفوت على المجاهدين فرص التوغل في أراضي وورفلة، أو النزوح إلى منطقة سرت.

وفي يوم 22 / ديسمبر سنة 1923م، فوجيء النازلون بالسدادة باقتراب الجيوش الإيطالية إليهم بقيادة (مازيتي).

ولحصول هذا الزحف على الحكومة والناس بغتة؛ فطلباً للنجاة بأنفسهم، تركوا كل شيء يقتنونه في محله، وفرت النساء والأطفال والعاجزون من الشيوخ والمرضى، هائمين في الصحراء على وجوههم.

وأما الجند والرجال المسلحون - وأغلبهم ممن حضروا معركة الكراريم، ولا يزالون بها مرهقين، أو ذوي جروح طفيفة - فقد

توزعوا - تحت قيادة إبراهيم - على امتداد جبهة العدو نحوهم، ودارت لهم معه آخر معركة فدائية حامية النيران في تاريخ الجهاد الطرابلسي جنوباً.

وحين أدرك إبراهيم استحالة المقاومة بعدده الضئيل - وكاد العدو أن يطوقه ويؤسره، ويؤسر أتباعه - ترك منهم - في مشاغله - لفيفاً، ممن تقدموا لهذا الفداء، وانسل بأخوانه الباقين - كلمح البصر - قاصدين تنظيم مقاومته في سرت، كما قصدها - أيضاً - بعد الفرار من السدادة - زعماء مصراتة، وترهونة وغريان، وغيرهم، وعلى هذا الوصف احتلت السدادة، وانتهت المقاومات الحادة في طرابلس. وكان من أثر هذه المباغته لهجوم العدو على السدادة، ونجاة الناس منه بأنفسهم، بسبب الفرار على وجوههم في الصحراء، أن لحقت بالمجاهدين أفدح الخسائر، التي لم يصابوا بمثلها من قبل في السلاح، والذخائر، والمؤن.

فمن ذلك ما جاء في نحو فزان (ص 216) من قوله: «تم الاستيلاء على ثلاث قطع من المدفعية، وعلى مستودع صغير للمؤن والأقوات والمهمات من مختلف الأنواع، وعدة آلاف من الماشية.

ولا يخفى أن وقوع هذه الغنائم الكبيرة في يد العدو، ناجم عن انعدام المقاومة العنيفة لزحفه على السدادة، وعن الفرق الشاسع بين الكثافة الهائلة لجنده الغازي، ومالديه من وسائل الحرب الفنية الحديثة، وبين ضالة قوات العرب الجهادية المتصدية له؛ إذ استمرار المجاهدين - كما تقدم - اثني عشر عاماً على نضاله قد استنزف جميع امكانياتهم المادية والاجتماعية المحدودة، ولولا أنهم كانوا مدتها يحاربونه بالكثير من نفس سلاحهم الذي كانوا قد غنموه منه في

معاركهم معه ؛ لما بقوا مستمرين على نضاله إلى موقعة السدادة .
انتهى كلام ابن مسعود .⁽¹⁾

ما ترتب على مفاجأة العدو للسدادة

ولما فرّ الناس من السدادة، وتمدّ أبى خطوة، وماقاربهما؛ طلباً
للنجاة من جيش الطليان الغازي - الذي فاجأهم فيهما بغتة - لم ينقلوا
شيئاً معهم، بل خرجوا من منازلهم - جرياً على أقدامهم - وتوزعوا في
جبال وادي نفد، والوزغة، والمخرم من أراضي ورفلة الجنوبية.

وهم في حالات يرثى لها من بكاء الأطفال، وسفور
المخدرات، واضطراب الرجال، وفراغهم من كل شيء؛ بسبب ذلك
الهجوم المباغت من العدو الغاشم.

واستولى العدو على ما في مخيماتهم، من طعام جاهز، وقمح
وشعير، وملابس، وأثاث، وأوان، وأوعية للماء وغيره، وحيوان.

وقد قام نحوهم البعض من أبناء ورفلة - في تلك الجهات -
بمروءة كبيرة، وشهامة عالية يستحقون من أجلها الشاء الجزيل؛ إذ
أسعفهم بإبل النقل، والماء والأغذية، وبضروريات أخرى للسفر.

ثم تفرقوا وذهبوا إلى مذاهب شتى، فمنهم فريق هاجروا
لتونس، على طريق غدامس، ومنهم فريق هاجروا لفزان؛ للالتحاق
بخليفة الزاوي حاكم مرزق، ومنهم فريق غادروا السدادة بأسرهم في
فجر يوم 22 / ديسمبر سنة 1923م - قبل مفاجأة العدو لها بساعات -
ونزحوا إلى منطقة سرت، ومن هذا الفريق أحمد بك السويحلي،

(1) ص 311 وما بعدها.

وأتباعه من مصراته، وأحمد بك المريّض، وأتباعه من ترهونة، ومختار بك كعبار، وأتباعه من غريان، والشيخ محمد سوف، وابنه عون، وأتباعهما من صرمان.

ولم تكن سرت محتلة حين ذاك؛ فأقاموا فيها بعائلاتهم مدة قليلة، ريثما هدأ روعهم.

ولما بلغهم أن الطليان احتلوا بني وليد يوم 27 / ديسمبر سنة 1923م - أي بعد احتلال السدادة بخمسة أيام - وأنهم عما قريب سيتجهون نحو سرت وفزان، قرروا الهجرة إلى مصر، وشرعوا في السير إليها على طريق برقة.

ومنهم فريق فقراء لم تكن لديهم مقومات الهجرة؛ فأخذوا الأمان من الطليان، ورجعوا لأوطانهم، وهم الأكثرية الساحقة، والسواد الأعظم، الذين قد شملهم كلام حياة المرحوم حسين الخطبة - في أبياته الشعرية من الزجل الشعبي - حين قال:

فِي ثَمَدٍ بُوْ خُطْوَةٌ قُضِرَتْ الْخُطُوبَاتُ * وَفِي السُّدَادَةِ انْسَدَّتْ الْأَبْوَاطُ
وَفِي نَقْدٍ نَفَدَتْ الْأَقْسَاثُ * وَجَا لِلنَّاسِ الشَّرُّ وَالْأَنْعَابُ
وَاللِّي يَرْجِعُ وَيَقْرُبُ بِالْغَلَبَاتِ * خَيْرٌ مِنْ يَضِيعُ فِي صَخْرَةِ الْأَذْيَابِ

تتمة المرحلة الثالثة

وعلى رغم ما خلفته واقعة الكراريم، ومفاجأة العدو للناس في السدادة؛ فإن رجال مصراته لم يتركوا الحرب والدفاع عن الوطن، بل لما انسحب - بهم - إبراهيم بن رمضان من مقاومة الطليان في السدادة، وسار إلى أرض سرت أراد أن ينظمهم لمقاومة الطليان - هناك - بدليل أنه لما وصل إليه فريق المهاجرين - الذين قرروا الهجرة

إلى مصر على طريق برقة، ومنهم عمه أحمد السويحلي - سايرهم، وحافظ عليهم، ومشى معهم إلى العقيلة، وقيل إلى سيدي بشر.

وهناك صارح عمه أحمد، وطلب منه الرجوع إلى سرت لمواصلة الكفاح ضد الطليان.

ولما لم يوافقهم، قام وركب جواده، والتفت إلى عساكره، وقال لهم: «أيها الإخوة، من كان منكم يريد الهجرة إلى مصر فليذهب مع هؤلاء، ومن كان يريد - مثلي - أن يناضل عدو الله إلى الظفر بالاستشهاد؛ فليتبعني».

وأدار جواده غرباً نحو سرت، فتبعه جميع أفراد العسكر النظاميين، وكذلك المجاهدون الشبان العزاب.

ولما وصل - هو وجنوده - إلى سرت، وجد فيها أحمد سيف النصر؛ فتحالف معه ضد إيطاليا، وصارا يناوشانها في وادي زمزم، وغنما منها - هناك - أسلحة، وأشياء متنوعة.

ولكن لم يمكثا على هذا الوفق وقتاً طويلاً، بل حصل بينهما شقاق؛ بسبب إحدى الغارات.

فترك أحمد سرت - لإبراهيم - وذهب إلى الجفرة، وهي سوكنة، وهون، وودان، وزلة.

وبقي إبراهيم في سرت، فتخرج موقفه؛ لبقائه وحده - في منطقة سرت - بقوة ضئيلة من المجاهدين القدائين، من غير أن يكون له حليف، يسانده في مواجهة الطليان، الذين - من غير شك - سيقدمون نحوه.

وقد علم الطليان ببقائه وحده في سرت؛ فراسلوه خدعة؛

ليتمكنوا من مباغتته - هناك - والغدر به، كما هي عاداتهم المألوفة في حروبهم الاستعمارية.

وفعلاً فقد جاءه الخبر يوم 22 / نوفمبر سنة 1924م، بأن الطليان وصلوا في زحفهم شرقاً إلى بويرات الحسون، الكائنة غربي سرت بنحو خمسين كيلو متراً تقريباً.

فلم يتزعج هو ولا إخوانه من قدوم العدو نحوهم.

وفي يوم 23 نوفمبر دخل العدو عليهم في سرت، فناوشوه فيها قليلاً، ولعجزهم عن مقاومته تأخروا إلى قصر أبي هادي شرقي سرت، وظنوا أن العدو سيتمهل في سرت يومين أو ثلاثاً.

ولكن قال غرسياني - في كتابه نحو فزان: «وفي اليوم نفسه، دون أن يضيع الكولونيل مازتي وقتاً بارح سرت، ووصل بعد زحف مجهد إلى قصر بوهادي، عند الغروب، وانقض على معسكر الثوار (أي المجاهدين)، وكانوا مشغولين بإعداد طعامهم، ونزل بهم الفرع من هول المباغتة، فهرع بعضهم إلى السلاح، وسرعان ما تم قتلهم، وأما الآخرون - ومن بينهم إبراهيم الشتيوي - فقد أرادوا النجاة بأنفسهم، فنجوا بالفرار»⁽¹⁾ اهـ.

وقال في معجم المعارك مانصه: «وكان المجاهدون قد تحولوا إلى سرت، حيث يتولى إبراهيم الشتيوي قيادة محلة تتألف من (500) خمسمائة مسلح تقريباً.

وقد قام الإيطاليون بتشكيل قوة تتألف من (3200) مسلح

(1) ص 271.

و(50) ضابطاً؛ لمواجهة تلك القوة من المجاهدين، الذين لجؤوا إلى سرت عقب معركة السدادة.

وركّز الإيطاليون قوتهم - في المرحلة الأولى من هذا الزحف - في بويرات الحسون، التي جعلوا منها قاعدة رئيسية لعملياتهم الحربية.

وتمكنوا يوم 23 نوفمبر سنة 1924م من الاستلاء على سرت، بعد معركة قصيرة، وتحولوا على إثرها إلى مهاجمة الثور (أي المجاهدين) في قصر أبي هادي، حيث جرت - في الموقع - معركة بين الطرفين، وكانت الغلبة فيها للقوة العُدوية والعُدوية.

واستولى الجيش على كثير من الأسلحة التي كانت بيد الثوار (أي المجاهدين) خاصة تلك التي كانت مخزونة في سرت.

وتشير المصادر الإيطالية إلى أنه قد استشهد في هذه المعركة مايقرب من (47) سبعة وأربعين مجاهداً.

وكانت هذه المعركة هي آخر المعارك التي جرت في المنطقة الساحلية من إقليم طرابلس.

ثم تابع غرسياني كلامه الأول، على فرار إبراهيم من مباغته مازيتي له مساء في قصر أبي هادي.

وقال - عن كيفية مصرعه - مانصه: «وقد تقهقر عن قصر أبي هادي - يتبعه عدد ضئيل من المسلحين - إلى حيث يوجد سيف النصر - عشية - الند للند لا كضيف.

ووقعت له بعض الأكدار اضطر إلى الفرار لفزان، يتبعه أخلص رجاله، ولحق به رجال سيف النصر المسلحون في مضيق بئر قرباز،

المعروف باسم الرواغة - وهو طريق إلى جبل ودان غير مأمون -
فغدورا به، وخرّ صريعاً أثناء القتال، وكان ذلك يوم 19 / مارس سنة
1925 م.

والمفهوم من روايات متواترة أن إبراهيم - بعد أن ترك الجفرة -
كان يريد الذهاب لخليفة الزاوي، حاكم مرزق.

ولكن عندما جاء لسيف النصر في الجفرة بقوته الصغيرة، ومعها
أسلحتها، وقطعتان من المدفعية ورشاشة، خاف منه سيف النصر على
نفسه أن يلتف حوله المعجبون بشجاعته، والمقدرون له على شرف
أسرته، وجهاد أبيه، وأن يتحالف مع خليفة الزاوي ضده؛ فيزعوا منه
النفوذ والحكم بالجفرة، ومنطقة فزان.

ولذلك لما رفض إبراهيم أن يسلمه سلاحه، ويترك له جنده -
الذين معه - ويذهب بمفرده إلى خليفة بمرزق، دبّر له مكيده اغتياله .

وقد قتل معه من بقي له من الفدائيين الأوفياء له ولزعامته
وقيادته، كما قتلوا - هم - كثيراً من رجال أحمد سيف النصر. هذا
مانقله ابن مسعود من نحو فزان وغيره⁽¹⁾.

والذي رويناه عن الضابط علي بن أحمد القن - وقد كان من
أنصار إبراهيم، ومن المقربين إليه - وكذلك عن غيره - ممن حضر مع
إبراهيم في الرواغة - أنهم لم يمت منهم إلا إبراهيم واثنان عشر من
أتباعه .

وأما الباقون فقد بقوا أحياء، ولم يتابعهم أتباع سيف النصر؛
لاحتمالين:

(1) رمضان السويحي. انظر ص 318 وما بعدها

أحدهما - أن سيف النصر لم يكلفهم إلا بالقضاء على إبراهيم ؛ ولذلك لما تحققوا أصابته وموته تركوا المتابعة .

والثاني - أن زمام السيطرة انفلت منهم ؛ بسبب خروج جميع أتباع إبراهيم من مضيق الرواغة، قبل انتشار ضوء الصبح، ولما انتشر ضوء الصبح نظر أتباع سيف النصر في أنفسهم، فوجدوا أنفسهم أنهم قد مات منهم خلق كثير، وأن من بقى منهم على قيد الحياة لم يزد على عدد أتباع إبراهيم الباقين على قيد الحياة أيضاً، وأن سلاحهم كله بنادق، وأن أكثرهم غير مدرب على القتال تدريباً عسكرياً، ونظروا في أتباع إبراهيم فوجدوا أن كل ما أطلقوا عليهم من رصاص - في ظلام الليل من رؤوس تلك الجبال - لم يؤثر فيهم إلا تأثيراً قليلاً، ولم يمت منهم إلا عدد ضئيل جداً، وأنهم عسكر مدرب على القتال، وأنهم يمتلكون الرشاشة، التي أطلقها إبراهيم عليهم قبل اللحظة التي سقط فيها صريعاً، وقد صرع منهم بها عدداً كبيراً، ونخر صريعاً بطلقة نارية من واحد منهم .

فتحققوا أنهم لم ينجحوا في متابعتهم لوتابعوهم ؛ ولذلك تركوا متابعتهم، ورجعوا لصاحبهم .

ومضى أتباع إبراهيم في طريقهم، ولما بُعدوا عنهم تركوا الاتجاه لجهة فزان، واتجهوا لجهة برقة .

وساروا إلى أن وصلوا إلى معسكر السيد عمر المختار في الجبل الأخضر، وانضموا إليه بنية الجهاد في سبيل الله .

ومنهم من بقي معه إلى أن قبض عليه الطليان، وشنقوه، وانقطعت المقاومة في جميع أنحاء ليبيا، من حدود السودان ومصر

شرقاً، إلى حدود تونس والجزائر غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى حدود النيجر وتشاد جنوباً.

ومما تقرر يتضح أن المرحلة الثالثة كانت أصعب المراحل في الجهاد الليبي، وأن الحرب فيها تنوع إلى حرب معارك، وحرب مناوشات، وأن القيادة فيها قد تعددت فقد قاد معاركها سعدون السويحلي إلى أن استشهد في معركة المشرك، ثم قاد معاركها إبراهيم بن رمضان إلى أن نفذ منه في معركة الكراريم ما يقدر به على خوض المعارك والمجابهة، ولم يبق عنده إلا ما يقدر به على حرب المناوشات، إلى أن قتل ظلماً وغدراً في الرواغة.

ثم قاد بقية مناوشاتها السيد عمر المختار، إلى أن قبض عليه الطليان وشنقوه.

خاتمة المراحل الثلاثة

قد علم مما ذكرناه - في المراحل الثلاثة - أن جملة المعركة الكبيرة التي خاضها المصريون على انفرادهم في محاربة الطليان ست عشرة معركة، وأنها على الترتيب الذي ذكرناه، والتفصيل الذي فصلناه زمناً وصفة.

وأما الأعمال الفدائية والمناوشات فهي كثيرة لا يحصوها عدد.
وقد شهد بذلك الطليان أنفسهم، كامباني، وكونتي فولبي،
وغرسياني، وغيرهم.
ولذلك قلت:

مضرائة ذات الرمال بلادى * قد جاهدت في الله حق جهاد
شهدت لها إيطاليا وجنودها * والحق ما شهدت به الأعداء
قد خازنت في ليبيا من غربها * حتى إلى الشرق بذون هواد
وضخائف التاريخ قد حقيقت لها * أسمى جهاد رعم كل معاد
ماكان يخفى حربها وجهادها * إلا على وغد من الأوغاد
فالمصريون لم يتركوا جهة من جهات ليبيا إلا دافعوا دونها،

ولا يوجد مرتفع من أرضها ولا منخفض إلا ولهم فيه دم مهراق، أو
جسد ممزق.

وقد حفظ لهم التاريخ في صفحاته من الجهاد المقدس، ما لم
يحفظه لغيرهم.

وقد خاضوا تلك الحرب على رضى منهم، وطيب نفس، دفاعاً
عن وطنهم، وذوداً عن كرامتهم، لا يتنظرون من وراء ذلك إلا
ما أدخره الله لهم، من ثواب المدافعين عن أوطانهم ودينهم والله يرث
الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

فائدة: في وقوف مصراة ضد الجنسية

وسببها أن الطليان لما احتلوا ليبيا، وتم لهم الأمر فيها كذبت عليهم أنفسهم، حتى أرادوا أن ينصروا أهلها - كما نصر الأسبان أهل الأندلس - وبدؤوا يجسون الناس في أولادهم، فالزموهم بتعليم أولادهم في المدارس الإيطالية، ويدخلهم في عسكر الباليلى، وبضرورة حفظهم لقصيدة شباب الليتوريو الفاشستي، - التي تتضمن إقرارهم واعترافهم بأنهم أبناء روما - وهي :

يَاشَبَابَا يَاشَبَابَا * يَازَيَعَا مُشَطَابَا
أَلَعَنَّا وَالْكَثْرَ ثَابَا * نَسَاكَ اللَّهُ الْخُلُودُ
إِنَّا أَوْزَاقُ دَوَّخِيَّة * غَضِيَّة طَرَتْ وَمَرْخِيَّة
إِنَّ سَقَطْنَا قَبْلَ زَوْجِيَّة * فَهِيَ تَبْقَى لِلْأَبْسُودُ
لَيْسَ لِلدُّنْيَا قَرَارُ * خَادِثَاتُ وَفَرَارُ
وَتَسْرِقُ وَغَمَمَارُ * تَسْطَوِي طِيَّ ثُمُودُ
غَيْرَ رُومَا لَانِسَوَانِي * إِنَّ نَسَالِمَ أُمُ تُشَانَا
رُومَةُ تَابِي النِّسَوَانَا * نَجْمُهَا يَابِي الْخُمُودُ
إِنَّا أَبْنَاءُ رُومَا * جُنْدُنَا نَحْنُ الْقُدَامَا

قَدْ سَعَيْنَا أَلْفَ عَامًا * ثُمَّ عُذِّنَا لِلنَّاسِ لَأَقُولُوا
لَا رُجُوعَ لَنَا * فِي طَرِيقِ قَدْ بَنَيْنَا
بِجَنَارٍ وَدِمْنَانَا * وَالسُّورَى طُبْرًا شُهُودًا
ثُمَّ شَرَعُوا فِي جَبْرِ النَّاسِ الْكِبَارِ - مِنْ أَهْلِ الشَّعْبِ اللَّيْبِيِّ - عَلَى
التَّجَنُّسِ بِالْجَنَسِيَّةِ الْوُطْنِيَّةِ الْإِيطَالِيَّةِ، الْمَسْمَاةِ - عَنْدهُمْ -
(بِالشُّتَادِينَانِسَّةِ).

وهذَّوهم بالنفي في واو حريرة، لكل من يمتنع عن التجنس
بها.

ولما طلبوها من أهالي مصراته، وانتشر أمرها بين أبناء البلاد،
تمسكوا بأن الإنسان لا يجوز له أن يقدم على شيء حتى يعلم حكم
الله فيه، والتجنس المذكور لم يتبين لهم فيه حكم الله، فلا يجوز لهم
القدوم عليه.

ووقفوا ضد ذلك وقفة شديدة صلبة بشجاعة وحماس، حتى
أظهروا غضبهم على الطليان، واستعدادهم للتضحية والنضال.

وبارحوا الساحة، التي جمعهم فيها نائب الوالي - المسمى
بِالْبَرْفِيَّتُو - أمام قصر الحكومة بمصراته؛ للتفاهم معهم في شأنها.

بل وصلوا إلى الهتاف بسقوط إيطاليا الاستعمارية، وحياة ليبيا
العربية.

وشاع أمر تلك المحاولة، وانتشر في الخارج، وامتلات
الصحف بالكتابة عليها، وبالتشجيع على الطليان في طلبها.

حتى أعرضوا عنها، وأنكروا صدورها من حكومتهم، وصاروا
يعتذرون عنها في الصحف، بأنها إنما وقعت من بعض حكام

المناطق، من غير أن تطلبها الحكومة، أو توافق عليها.
وسكتوا عنها، وصاروا يتدبرون في مكيدة لتنفيذها، ولانتقام
من مصراته التي عارضتها.

ولكن الله عجل بالانتقام منهم، وصدق عليهم قوله تعالى :
﴿إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾.
فانتشبت - لهم - الحرب العالمية الثانية، والهنتم عن جميع
المكايد.

وتحالف فيها موسوليني مع الألمان واليابان ضد الحلفاء
الآخرين، الذين أدخلوا - في حلفهم - بقية الشعوب ضد ذلك الحلف
الثلاثي، ومن جملة من دخلوا في هذا الحلف ليبيا برئاسة إدريس
السنوسي.

وأعلنت تلك الحرب، وقامت على ساقها قبل تمام الحول.
وقد أحضر الطليان فيها - على الحدود المصرية؛ لاحتلال
مصر - جيشاً، قدر بمليون جندي، مجهزين بأحدث آلات الحرب،
من أسلحة ومدافع ودبابات وطائرات وسيارات، وغير ذلك من وسائل
الحرب والدمار.

وبدؤوا في تهيئة أنفسهم للزحف عليها، حتى فاجأهم الحلفاء
بمعركة العلمين الشهيرة، التي أهلكت الطليان، ودمرتهم تدميراً كاملاً.
وأصبحوا بعدها كالقمار، الذي قامر بجميع ما يملك، وخسر
لعبة المقامرة.

فقد قتل فيها - من جيشهم - ما لا يقل عن نصف مليون جندي،

وأُسِرَ فيها - منهم - مالا يقل عن ربع مليون، وشرَّد في الصحراء -
ربعمهم الرابع .

وهلكت - فيها - جميع أسلحتهم، ومدافعهم، ودباباتهم،
وطائراتهم، وسياراتهم .

حتى صار من بقى من قلوبهم حيا، ونجا من الأسر، لا يجد
سيارة يركبها، أو يحمل عليها متاعه .

بل لما تجمعوا - بعد نجاتهم بالفرار - حملوا أثقالهم على
ظهورهم، ودخلوا الطريق الساحلية، وصاروا يمشون فيها على
أرجلهم، ويدبون معها كالجراد الصغير، الذي يزحف على الأرض،
المسمى - في لغة أهل ليبيا العرفية بـ (الدبنون) .

ولا يمرون ببلد إلا وتبقى الطريق مزدحمة بهم - كازدحام طريق
النمل - ليلاً ونهاراً مدة عشرة أيام .

ولما سمعتُ بوصولهم إلى البلدة التي كنتُ مقيماً بها لطلب
العلم في ذلك الوقت - وهي زليطن - خرجت لمشاهدتهم، وجلستُ
خلف التجار، الذين مكثوا على ضفة الطريق، وصاروا يبيعون لهم
التمر والماء .

وصرتُ انظر في سمات وجوههم - وعلى ظهر كل واحد منهم
حمل حمار من الأدباش - وفي تهافتهم على شراء التمر والماء - وهم
يتزاحمون عليهما كتزاحم الغنم العطشى على حوض الماء يوم الحر
الشديد - وفي جلودهم - التي تتصبب عرقاً في الشتاء البارد - وفي
أرجلهم - التي أكثرها حافية مشققة، والدم يرشح من شقوقها، من
كثرة المشي .

وصرتُ أفكر في أحوالهم، وخطر يبالى ماوقع لنا منهم عام
هجرة السدادة.

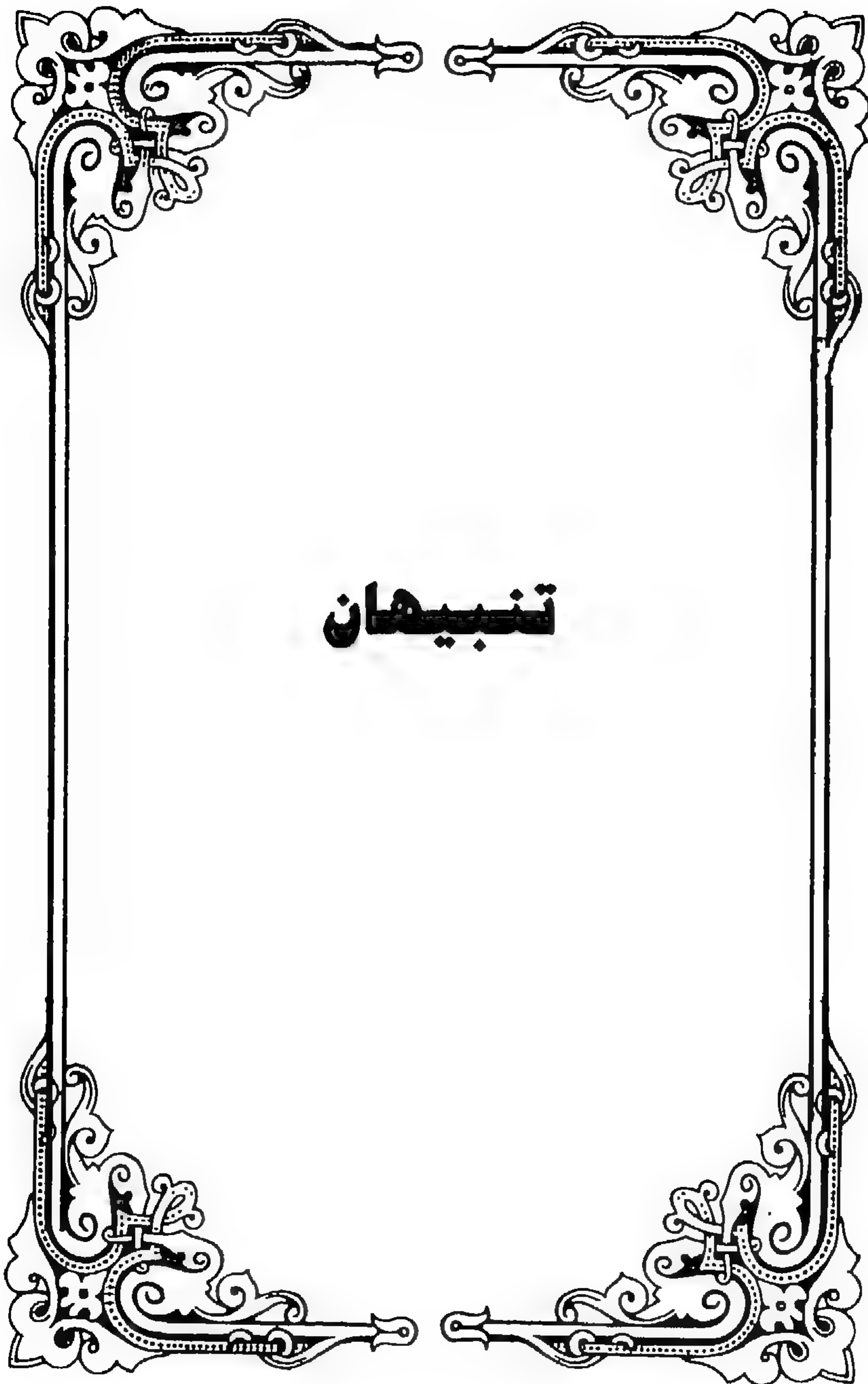
وجاء قبالة عيني جميع ماجرى للناس من تعب وكدر في ذلك
العام، الذي خرجنا فيه من بلادنا إلى أسيوط، وتاجموت وأم
العرفج، والسدادة، فراراً من جيشهم الغازي المتسلط، وهو عام
1923م، إذ أنا فيه ابن تسع سنين، فتصور كل ما وقع فيه تفصيلاً.

فقلت: سبحان الله! ربنا جازاهم بنفس العمل الذي وقع لنا
منهم عام هجرة السدادة، جزاء وفاقاً، وشرع لساني في أبيات
شعرية، تبرهن على ماكان يكمن في قلبي نحوهم، وهي:

عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ أَصْبَحْتَ تَجْرِي * وَلَا تَذِرِي وَلَا تَأْتِي بِفِكْرٍ
أَلَمْ تَعْلَمْ بَأَنَّ اللَّهَ عَذْلٌ * يُجَازِي كُلَّ ذِي ظُلْمٍ وَمَكْرٍ
فَلَيْسَ جَزَاءُ مَا اكْتَسَبْتَ يَدَاكَ * سِوَى نَارٍ تُظْهِرُ مِنْكَ بَرِّي
وَقَدْ آنَ الْأَوَانُ فَبِكَ شَاطَتْ * حُرُوبُ الْجَائِكَ إِلَى الْمَفْرِ
وَقَدْ هَزِمْتَ جُيُوشَكَ بِإِنْهِيَارٍ * فَظَلِمَ جَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ كَسْرِ
فَأَقَلَّتْ بَعْضُهُمْ - وَلَهُ حُصَاصٌ * وَبَعْضُ مَاتَ، وَبَعْضُ بِأَسْرِ
وَصِرْتَ تَجُرُّاً ذِيَالِ الْهَزِيمَةِ * بِكُسْرِ لَمْ تُضْمِذْهُ بِجَبْرِ
وَتَحْمِلُ فَوْقَ ظَهْرِكَ مَا حَمَلْنَا * بِهَجَرَتِنَا عَلَى رَأْسٍ وَظَهْرِ
فَنَحْمَدُ رَبَّنَا لَدُنَّا رَأَيْتُكَ * بِعَيْنِي الْآنَ فِي ذَلٍّ وَقَهَرٍ
رَعِمْتَ بِأَنْ وَصَفَكَ وَصَفُ لَيْتٍ * وَوَصَفُكَ - فِي الْحَقِيقَةِ - وَصَفُ فَأَرِ
وَقَدْ كَذَبْتَ عَلَيْكَ النَّفْسُ حَتَّى * غَلَطْتَ وَقَدْ طَبَعَتْ بِفِكَ بِمَصْرٍ⁽¹⁾

(1) المراد بها: مصر، القطر المعروف - وقرئت بالكسر لأجل الروى.

وَجَرُّكَتَ الْأُسُودَ إِلَيْكَ حَتَّى * أَتُوكَ وَلَا نَجَاةَ سِوَى الْمَقَرِّ
فَسِرْ لِإِطَالِيَا، وَمِنْ الْغَنِيمَةِ * تَعْرُضُ بِالْإِيَابِ إِلَى الْمَقَرِّ
أَقُولُ لَكَ ارْتَجِلْ وَاتْرُكْ بِلَادِي * عُمُومًا وَاخْرُجْ مِنْهَا بِذَخِيرِ
وَفِرْ بِخُسْرَةٍ وَأَذْهَبْ بِخِزْيِ * كَمَا ذَهَبَ الْجِمَارُ بِسَامٍ غَمِيرِ
فَلَا رَجَعْتَ وَلَا رَجَعَ الْجِمَارُ * وَأَنْتَ فَلَا رَجَعْتَ لِيَوْمٍ خَشِيرِ



تنبيهات

التنبية الأول:

في فظائع الاستثمار الإيطالي في ليبيا

صفحة من التاريخ ضاقت بما اشتملت عليه من حوادث وعبر، وقعت من دولة «طغت في البلاد، فأكثرت فيها الفساد، فصب عليها ربك سوط عذاب، إن ربك لمارصاد».

وللدول - كما للأفراد - أعمار لها بداية ونهاية، وفيما بينها يسجل التاريخ (لها ماكسبت، وعليها ماكتسبت).

وللتاريخ - في صحائفه - نظرات عادلة، يقيم من أجلها موازين القسط؛ لتجد كل دولة ما عملت من خير محظراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً).

وسيجد القارئ للتاريخ في صفحات دولة الروم ما تشوّد الوجوه لفظاعته وبشاعته، وماتبرأ منه الإنسانية جمعاء، بل حتى الوحوش في آجامها.

ولقد كان لهذه الدولة - في ليبيا - عمر قليل السنوات، كثير السيئات، لم تخل ساعة منه من ألم ممرض، أو إهانة تنفذ إلى أعماق النفوس؛ فتذيبها حسرة.

لذلك كانت كل ساعة من هذا العمر القصير، لا تقل في طولها عن سنة.

فقد حكمتها ثلاثاً وثلاثين سنة بيد من حديد، ونار تحرق حيثما لمست، بقلوب انتزعت منها الرحمة، حتى أصبحت لا تألف إلا الشر، ولا تستريح إلا للتعذيب والقتل.

فقد كان غرسياني يخرج بالمصفحات، وعليها المدافع الرشاشة، إلى سكان البادية، فينصبها عليهم، ويرميهم بالرصاص حتى يبيدهم.

ثم يأمر المصفحات أن تمر على القتلى والجرحى، وفيهم النساء والأطفال، وتكرر المرور عليهم، ذهاباً وإياباً، حتى تختلط أجسامهم بالتراب.

وكانوا يشدون الرجال في الحبال والسلاسل بالعشرات، ثم يأمرهم بضربهم بالرصاص، حتى لا يبقى منهم أحد.

ويرمونهم في البحر أحياء، فتمضي بهم الأمواج حتى يموتوا غرقاً، ثم يقذف البحر جثثهم، وهي مكبلة في السلاسل.

وكانوا يصلبون النساء عاريات - إي والله عاريات - أمام أهلهن، وبحضور ألوف من الناظرين، إرهاباً لشعور الليبين، وإمعاناً في النكاية بهم.

وكانوا يغرزون الرجل، والرجلين، والثلاثة في الأرض، ويجعلونهم في محل الهدف الذي يرمى إليه - كالغرض المسمى بالنيشان - يتسلى الجنود والضباط برميهم بالرصاص.

وقد فعلوا ذلك بكثير من الناس في (قوز التيك) بمصراته.

وكانوا يدخلون على الأسرة في بيتها، فيقتلون رجالها، ونساءها، وأطفالها عن آخرهم، ويرمون جثثهم في بئر المنزل أو صهريجه، ويصبون عليهم البترين، ويطلقون فيهم النار حتى تأكلهم، ثم يطم عليهم ذلك البثر أو الصهريج .

وقد فعلوا ذلك بعائلة السيد فيدان، المعروفة بعائلة ماطوس بمصراته أيضاً.

وكانوا إذا شكى الرجل من أخذه في الجندية؛ لأنه كبير السن، وله طفل صغير يحتاج إلى رعاية، أتوا بذلك الطفل وقتلوه بالرصاصة أمام عينيه .

وكانوا - أيضاً - يصادرون الأملاك من أربابها الشرعيين - بدون ثمن - ويعطونها للطلليان، ينعمون بخيراتها، ويموت أهلها اللييون جوعاً في جوارها .

وكانوا إذا اشتكى لشرطتهم لبي من إيطالي ظلمه، لا يأخذون له حقه من الإيطالي، بل يقولون له: اذهب لاحق لك، فأنت (اندجني) أي عبد لإيطاليا وأولادها .

هذه المظالم المميتة - التي كان الطليان يعدونها من مفاخر حكمهم في ليبيا - قابلها اللييون بكل صبر .

ونالت من دمائهم وكرامتهم، ماتعجز الجبال عن حمله، وانطوت جوانحهم على مرارة، كانوا يفضلون من أجلها الموت في أبشع صورة، على الحياة مع الطليان .

ودولة تأتي بمثل هذه المنكرات، راضية بها نفوس عظمائها وملوكها، لاشك أنها تتحدى نواويس الحياة، وسنن الكون، وتحاول

الحياة من طريق لا تؤدي إلا إلى الفناء .

والإنسان من أول وجوده يعرف الظلم ، ويقع منه ، ولكن إذا اعتقد أن ظلمه عدل ، كان ذلك طريقاً إلى الزوال لا محالة .

ولو علم الطليان أن الله يمهّل ولا يهمل ؛ لا تعظوا بمن تقدمهم من الأمم ، التي أدال الله دولتها بسبب الظلم .

والذي تولى كبر هذه الفظائع كلها هو موسوليني ، ومنفذوا أوامره كغرسيانى ، ومازتي ، وقليّنة الأغور ، وبالبو ، ومنديشي ، وغيرهم من أهل الحزب الفاشستي .

ومن غطرسة موسوليني وزبانته ، أنه لما أراد المجيء لليبياء ؛ جمعوا لمقابلته جميع سكانها من أقصاها إلى أقصاها ، على حافتي الطرق الساحلية من طبرق إلى طرابلس .

وحين جاء نزل في طبرق ، وبات بها ، وفي صباح اليوم الثاني طلع من طبرق مع طلوع الشمس ، مشبهاً نفسه بشمس طلعت على الشعب الليبي .

وركب سيارة سريعة ، وسار مغرباً إلى مغرب شمس ، ولم يقطع مسافة كيلو متراً بدون أناس على الطريق ، يصفقون له في تلك المسافة كلها ، إلى أن وصل طرابلس .

وفيهما نزل من سيارته إلى الأرض ، وأتى له بمدفع صعد عليه ، وأفرغ رصاصة من مسدسه في الهواء ، وقال : طرابلس ملكنا إلى الأبد .

ولم يعلم أن تشبيه نفسه بشمس طلعت على الليبيين ، يقتضي أن وصوله إلى طرابلس هو بلا شك ، كوصول الشمس إلى مغربها ،

وأن نزوله من سيارته إلى الأرض هو كتزول الشمس من الأفق، إلى أن وصلت الأرض، ولم يبق إلا غروب قرصها، وقد حان وقته الضيق السريع، ولذلك أمر زبانيته - بعد بضعة أشهر - بجبر الناس الكبار من أهل الشعب الليبي على التجنس بالجنسية الوطنية الإيطالية، كما تقدم.

التنبية الثاني:

في سقوط إيطاليا، وخروجها من ليبيا

قد سقطت إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، وخرجت من ليبيا مذمومة مدحورة، وخيب الله زعم موسوليني في طرابلس.

فخرج منها هو وقومه أذلة صاغرين، ورأوا من شتات الشمل، وذهاب الدولة مافيه عبرة لمن يعتبر، ونالهم من العقاب أشد مانال ظالماً في التاريخ، وكان ذلك جزاء وفاقاً.

فقد رأت هذه الدولة وشعبها من الفواجع، ماكان مخبوءاً في القدر، مما يماثل ما أنزلوه بالليبيين سواء بسواء.

وبلغ من هوان موسوليني على قومه، أن قتل بأيدي إيطالية، وبقيت جثته على قارعة الطريق، تتلقى لعنات الإيطاليين، وتُرَكَلُ بأرجلهم، وكلما مرَّ عليها ملؤ من قومه سخرها منها، وبصقوا عليها، تحقيراً لشأن موسوليني، وجزاء لإجرامه.

ولعل في مثل هذه الكوارث مايعمر نفوس من تأخذهم نشوة الانتصار بحب الانصاف، والاعتراف للشعوب بحق الحياة الحرة.

فإن مايبخه القدر لهم قد يكون أبلغ من النكاية مما صارت إليه إيطاليا؛ بسبب الظلم، «وماالله بغافل عما يعمل الظالمون».

وهذا آخر مايسر الله جمعه للقراء الكرام، ونسأل الله تعالى
حسن الختام، وأن يصلى ويسلم على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى
آله وأصحابه مادامت الليالي والأيام.

وكان الفرغ منه عشية يوم الاثنين 26 شعبان سنة 1398 هـ
الموافق 31 يوليو سنة 1978م، بقلم مؤلفه محمد مفتاح قريو.

القصاص العشرة

**في جهاد الليبيين ومقاومتهم للطلليان
الفاشستين**

من سنة 1911م إلى سنة 1970م

للشيخ / محمد مفتاح قريو

القصيدة الأولى

تتضمن جهاد الليبيين في الطليان الفاشستين بقيادة أعضاء مؤتمر غريان الذين أجمعوا على محاربة الطليان حين جاءوا في أساطيلهم لاحتلال ليبيا سنة 1911م وهي من بحر الوافر وأجزاؤه «مفاعلتن مفاعلتن فعولن» مرتين.

أَلَا يَا مَنْ جَهِلْتَ جِهَادَ شَعْبِي * سَلِ التَّارِيخَ غُنَا فِي الْجِهَادِ
وَعَنْ مَا كَانَ مِنَّا فِي الْحُرُوبِ * وَفِي سَحْقِ السُّلَايْنَةِ الْأَغَايِدِ
يُجَبِّرُكَ بِمَا نَالُوا وَذَاقُوا * مِنْ الزُّبُلَاتِ مِنْ أُنَا بِلَادِي
فَجِينِ أَتَوْا بِقَصْدِ الْغَزْوِ قَامَتْ * بِلَادِي ضِدَّهُمْ خَضِرِي وَبِلَادِي
وَجَاءَتْ كَالسُّحَابِ لِلدَّفْعِ * عَنْ الْوَطَنِ الْغَزِيرِ بِلَا تَنَادِي
وَجِينِ تَجَمَّعَتْ هَجَمَتْ عَلَيْهِمْ * تُقَاتِلُ بِالسُّيُوفِ وَبِالزُّنَادِ
وَقَدْ خَاصَمْتَ مَعَارِكَ غَجَزَتُهُمْ * وَأَنْتَ مَسَالِدُهُمْ مِنْ غَنَادِ
وَأَضْبَحَ جَيْشُهُمْ فِيهَا وَقُوداً * لِنَارِ ضَيْرَتُهُمْ كَالرُّمَادِ
وَأَمْسَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَيًّا رَى * أَذْلاً غَاجِزِينَ عَنْ الْجِلَادِ
فَجَاءُوا مِنْ مُصْرُوعٍ وَالصُّمَالِ * بِقَوْمٍ كَالْعُقَارِ وَالْجَرَادِ
لِنُضْرَتِهِمْ وَلَكِنْ لَمْ يَنَالُوا * بِهِمْ غَيْرَ الْهَزَائِمِ وَالْكَنَادِ
وَقَدْ رَغِمَتْ أَنْوَقُهُمْ وَزَالَ * غُرُورُهُمْ وَغَطْرُنُهُ الْعِنَادِ
فَظَلُّوا بَعْدَ ذَلِكَ أَمَامَ شَعْبِي * كَفَشَرَانِ أَمَامَ قَطَاطِ وَادِي
فَإِنْ هَجَمُوا فَلَمْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ * وَضَارُوا فِي الْقَنَاءِ كَقَوْمِ عَادِ
وَإِنْ لَزِمُوا مَكَانَهُمْ أَتَاهُمْ * مِنَ الثُّوَارِ ضَرْبُ الْأَصْطِيَادِ
وَضَارُوا فِي جُفَارِ مُشْتَمِرٍ * بِسُطِّ الْبَحْسَرِ مِنْ غَيْرِ ابْتِسَادِ

إِلَى أَنْ مَسْرُومٌ غَدَدِ السُّنِينَا * عَلَيْهِمْ رُبْعُ قَرْنٍ فِي ارْتِبَاضِهِ
وَلَكِنْ قَسْدَرُ الْمَسْوُولَى عَلَيْنَا * بِأَنْ نَقْدَ الْعَتَادُ وَكُلُّ زَادٍ
وَصِرْنَا لَيْسَ نَعْلِكَ مَا يَقْوَى * سَوَاعِدْنَا عَلَى ضَرْبِ الْأَعَادِي
هُنَالِكَ قَدْ تَرَكْنَا الْبُنْدُقِيَّةَ * وَهَاجَرْنَا إِلَى أَقْصَا الْبِلَادِ
وَلَيْسَ عَلَى بَنِي الْأَوْطَسَانِ إِلَّا * أَدَاءُ الْجَهْدِ لَا ثِقْلُ الْمَرَادِ
وَالَا يَخْضَعُوا لِلْإِجْنِي * وَلَا يَرْضَوْنَ بِذُلٍّ وَاضْطِهَادِ
وَإِنْ هُبْتُ رِيَّاحُ النُّصْرِ قَامُوا * عَلَى الْأَعْدَا بِتَجْدِيدِ الْجِهَادِ

ملحق القصيدة الأولى من قصائد الجهاد

يتضمن رفض الليبيين لصلح أوشى والأعمال التي قام بها سليمان الباروني وأحمد الشريف بعد الصلح المذكور في أبيات من بحر البسيط الذي أجزأوه «مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن» مرتين.

- لَمَّا أَتَى نَبُو الصُّلْحِ الَّذِي وَقَعَا • بَيْنَ النَّصَارَى وَبَيْنَ التُّرْكِ فِي أَوْشَى
وَبَقِيَتْ لِيَّتِيَا كَأَنَّهَا خَنْشَرٌ • بَيْنَ كِلَابِ النَّصَارَى وَالْخَفَافِيشِ
رَدَّتْ عَلَيْهِمْ بِرُفْضِ الصُّلْحِ غَاضِبَةٌ • وَتَرَكْتُ حُكْمَ أَصْحَابِ الطَّرَافِيشِ
وَأَهْلُهَا شَمُرُوا عَلَى سَوَاجِدِهِمْ • مِنْ أَرْضِ قَرْنَا إِلَى قَصْرِ ابْنِ كُمُوشِ⁽¹⁾
وَيَبَانَ فِيهَا سُلَيْمَانُ الَّذِي جَمَعَا • فِي غَرْبِ غُرَيَّانَ آفَا مِنْ الْجِيْشِ
وَخَافَ قَوْمُ النَّصَارَى أَنْ يَهَاجِمَهُمْ • فَهَاجَمُوهُ بِجِيْشِ الْجَوِّ وَالرُّيْشِ
وَوَاضَلُوا الْحَرْبَ أَبَامًا وَقَدْ زَحَفُوا • عَلَيْهِ حَتَّى نَأَى عَنْهُمْ بِتَطْيِيشِ⁽²⁾
وَتَعَدَّ وَاضَلُوا زَحَفَ الْمَبِيرِ إِلَى • أَنْ وَضَلُوا أَرْضَ قَرَانٍ بِتَهْوِيشِ⁽³⁾
وَحَارَبُوا أَهْلَهُ حَتَّى بِهِ قَتَلُوا • شَيْخًا لِأَوْلَادِ بُوْسَيْفِ التَّقْنِيشِ⁽⁴⁾
وَتَعَدَّ ذَلِكَ لَمْ يَلْقُوا مُقَاوِمَةً • لَكِنَّهُمْ قَدْ لَقُوا أَهْلَ الْكَمَامِيشِ
وَبَانَ فِي شَرْقِهَا نَجْلُ الشَّرِيفِ وَقَدْ • هَيَّا جَيْشًا لِيُضْرَبَ عَشْكَرُ الرُّيْشِ
فَارْسَلُوا رَجُلًا لَهُ وَطْمَعُهُ • بِإِمْرَةٍ إِنْ يَكُنْ لَهُمْ كُخْرِيْشِ
هُنَاكَ أَهْلُكَ الْغُرُورُ وَالطُّمَعُ • فِي ضَمِّ قَرْقَارِشِ لِبَلَدَةِ الْكِيشِ⁽⁵⁾
وَلَيْبَ الْإِنْجِلِيزُ وَالْطُّلَايِنَةُ • بِهِ وَصَارَ مِنَ النَّاسِ الدَّرَاوِشِ
وَمَاتَ فِي ثِيْبِهِ نَفْسٌ بِالْجَجَارِ وَلَمْ • يَصِلْ لِرَاحَةِ قَلْبٍ أَوْهَنَا عَيْشِ

(1) المرد به: قصر أبي كماش.

(2) أي تباعد عنهم بالدخول في الأراضي التونسية.

(3) بتهويس: أي بارتكاب للمشقة الكبرى.

(4) به بمعنى فيه، والمراد بالشيخ محمد بن عبدالله البوسيفي والمراد بالتقنيش: النهب وهو كتابة عن الحراية.

(5) المراد بقرقارش: طرابلس بتمامها، والمراد بالكيش بنغازي بتمامها - والمعنى المقصود أن طرابلس تكون تابعة لبنغازي.

القصيدة الثانية

تتضمن جهاد الليبيين في الطليان الفاشستين ، بقيادة سالم بن عبد النبي الزنتاني بعد صلح أوشى اسويسره الذي وقع سنة 1912م وهي من بحر البسيط وأجزاؤه «مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن» مرتين .

- لَمَّا تَوَغَّلَ فِي ضَحْرَاءِ فَرْزَانَ • جَيْشُ النَّصَارَى وَمَعَهُ الْقَائِدُ أَمِيَانِي
- وَقَطَنُ فِيهِ خُلُو الْجُرِّ وَالْوَطَنِ • قَبَاخَرُ فِيهِ بِتَضْفِيرِ وَالْخَبَابِ
- قَدْ فَاجَأَتْهُمْ بِهِ عِضَابَةُ الْبَطْلِ • سَالِمُ عَبْدِ النَّبِيِّ مِنْ آلِ زَنْتَانِ
- فَحَارَبَتْهُمْ إِلَى أَنْ مَاتَ أَكْثَرُهُمْ • وَقَرُّ بَأَقِيهِمْ مِنْ أَرْضِ فَرْزَانَ
- وَمِنْهُ قَدْ خَرَجَ أَمِيَانِي وَزَمَرْتَهُ • يَسِيرُ لَيْلًا بِسِرِّ دُونَ إِعْلَانِ
- وَجَاءَ يَنْجَرِي إِلَى مَضْرَاتِهِ وَجَلَا • مُرْتَبِعًا خَائِفًا مِنْ كُلِّ إِنْسَانِ
- وَقَارَ سَالِمٌ بِالنَّصْرِ وَنَارَ إِلَى • هَوْنٍ وَسُوءِ كُنْهٍ وَأَرْضٍ وَدَانِ
- ثُمَّ لَقِيَ أَمِي هَادِي الَّذِي اجْتَمَعُوا • فِيهِ بِجَيْشِ الثَّوَاتِي وَالتَّكْرِيَانِي
- وَكُونُوا جَبَّةً فِيهِ وَقَدْ شَرَعُوا • فِي الْغَزْوِ وَالنَّهْبِ مِنْ رُومٍ وَسُكَّانِ
- حَتَّى تَضَاقَ قَوْمُ الرُّومِ فِي الْوَطَنِ • مِنْهُمْ وَجَاءُوا بِجَيْشٍ صُحْبَةٍ أَمِيَانِي
- وَوَجَّهُوا لِقَرَضَائِيَةِ الْغَرْبِ • وَجَرَّبُوا خُضُّهُمْ فِيهَا بِإِمْعَانِ
- فَقَابَلَتْهُمْ هُنَاكَ جَبَّةُ الْحُلَفَا • وَمِنْ قَقَاهُمْ أَتَاهُمْ قَوْمُ رَمْضَانَ⁽¹⁾
- وَقَاتَلُوهُمْ إِلَى أَنْ مَاتَ أَكْثَرُهُمْ • وَبَاءَ بِأَقِيهِمْ مِنْهَا بِخُسْرَانِ
- هَذَا الَّذِي قَالَهُ الزَّوَاوِي وَأَيْدَهُ • سَفَاحُ رُومَا الَّذِي يُدْعَى جُرْزِيَانِي
- وَالْحَقُّ مَا شَهِدَ الْأَعْدَاءُ بِهِ أَبَدًا • لَأَمَّا ادَّعَاهُ أُولُوا زُورٍ وَبُهْتَانِ

(1) «جبهة الحلفاء» المراد بها جبهة العصابات الثلاثة التي تقدم ذكرها.

القصيدة الثالثة

تتضمن جهاد الليبيين في الطليان الفاشستين بقيادة رمضان بك
السويحلي بعد انتشاب الحرب العالمية الأولى سنة 1914 م وهي من
بحر الكامل وأجزاؤه «متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن» مرتين .

- قَدْ قَادَ جِبْهَاتِ الْقِتَالِ بِلَيْبِنَا ■ جَمْعُ نَحْيَرِ مِتْهُمْ الطُّلَيَانُ
- خَاضُوا غَمَارَ الْحَرْبِ دُونَ تَرُدِّ ■ بِعِزِّ نَيْمَةٍ وَجَمِيعَتِهِمْ شُجْعَانُ
- مِنْهُمْ ثَلَاثُ قَدْ بَدَّوْا فِي الْأَوَّلِ ■ بَرَزُوا وَبَانَ لَهُمْ هُنَالِكَ شَبَابُ
- ابْنِ الشُّرَيْفِ كَذَاكَ بَارُونِيَّتِهِمْ ■ أَيْضًا وَتَبَيَّنَ كِلَيْهِمَا رَمَضَانُ
- وَأَشَدُّهُمْ رَمَضَانُ إِذْ قَدْ دُوخَ ■ السُّرُومُ وَلَاخَ عَلَيْهِمُ الْخُسْرَانُ
- وَلِذَاكَ قَدْ جَنَحُوا إِلَى السَّلَمِ وَقَدْ ■ خَضَعُوا إِلَى صُلْحٍ بِهِ اطمِئْنَانُ
- وَتَكُونُ لِلشَّعْبِ جُمُهوريةً ■ وَطِئِيَّةً وَمَحَلَّتْهَا عُزْرِيَانُ
- فَتَضَائِقُ الطُّلَيَانِ مِنْ تَكْوِينِهَا ■ فَاسْتَعْمَلَ الْمَالِ لِمَنْ قَدْ خَانُوا
- وَطَفَتْ عَلَيْهِمُ فِتْنَةُ الْمَالِ إِلَى ■ أَنْ اصْبَحُوا فِي صَفِّهِ وَأَعَانُوا
- وَقَضُوا عَلَى رَمَضَانَ بِالْقَتْلِ فَقَدْ ■ كَانَ لَدَى الْوَطَنِ هُوَ الثُّغْبَانُ
- قَتَلُوهُ مَظْلُومًا وَمَاتَ ضَجيَّةً ■ لَكِنْ عَلَى الْوَطَنِ النُّفُوسُ تَهَانُ
- وَبَقِيَتْهُ خَيْسَرُوا وَبَاءُوا بِالْقَتْلِ ■ وَقَضِيَّةُ الْوَطَنِ هُنَاكَ أَهَانُوا
- وَتَسَيَّسُوا فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ جَرَتْ ■ لِلشَّعْبِ قَدْ قَامَ بِهَا الطُّلَيَانُ
- وَأَتَى بِهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ قَامَ بِتَقْدِ ■ ضَرِ الصُّلْحِ وَانْصَاعَ لَهُ الْخَوَانُ
- وَتَجَدَّدَ الْحَرْبُ لَدَى مَضْرَاتِهِ ■ وَالزَّوَانِيَا وَاتَّسَعَ الْمَيْدَانُ
- وَهُنَاكَ فِي مَضْرَاتِهِ قَدْ اصْبَحَا ■ سَعْدُونَ فِي الْجَيْشِ لَهُ جَوْلَانُ
- وَلَعُونَ سَرَفَ جَوْلَةٍ فِي الزَّوَانِيَا ■ وَيُسْطُولَةٌ قَامَ لَهَا بُرْهَانُ
- لَكِنْ بَسَا الضُّعْفُ وَبَانَ فِتْنَةُ ■ فِيهَا انْطَوَى الزُّنْتَانُ وَالرُّجْبَانُ
- وَانْضَمَّ إِدْرِيسُ إِلَى الْخُسْرَانِ لَمْ ■ حُما أَنْ أَتَاهُ بِسُرْقَةِ الطُّلَيَانِ
- وَلَهُ قَدْ اغْتَرَفُوا بِإِمْرَةٍ بَرْقَةٍ ■ انْضَمَّ مِنْ فِيهَا إِلَيْهِ وَلَانُوا

فَلِذَاكَ تُبْطِلُهُمْ وَقَسَامَ بِحَيْدِهِمْ * غَمًّا عَلَيْهِ مِنْ الْإِغَانَةِ كَانُوا
وَانْضَمُّ لِلطَّلِيانِ خُسْرِيْشُ وَجُنْدُ * خُذْ كُلُّ مُرْتَزَقٍ لَهُمْ وَأَعَانُوا
وَبِهِمْ تَخْصُلُ قَادَةُ الْجَيْشِ الْإِطَا * لِيْ عَلَى عَمْدٍ لَّهُ حُسْبَانُ
وَتَجْمَعُوا خَوْلَ طَرَابُلُسٍ إِلَى * أَرْ جُهِزُوا وَاتَّهَمُوا الْأَغْوَانُ
وَتَوَجَّهُوا بِمِثْلِ الْجَرَادِ الْمَتَشِيرِ * حَتَّى عَلَيْهِمْ ضَمَّانَتِ الْبُلْدَانُ
وَتَتَّبَعُوا أَرْضَ الشَّرِيطِ الشَّاجِلِي * مِنْ بَعْدِ أَنْ غَادَرَهَا السُّكَّانُ
وَلِذَاكَ لَمْ يَجِدُوا بِهَا مَا يَشْتَهُو * نَ وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ بِهَا أَحْزَانُ
وَهُنَاكَ قَدْ وَقَعَتْ مَعَارِكُ ذَابِيَةِ * قَدْ خَاضَهَا أَبْطَالُنَا الشُّجْعَانُ
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَّقْ فِي أَيْدِيهِمْ * إِلَّا السِّدِّي فِي الْأَضْطِرَارِ يُهَانُ
فَلِذَاكَ انْخَبَسُوا وَلَمْ يَتَّقْ أَمَّا * مِ الرُّومِ إِلَّا النُّخْلُ وَالْجَيْشَانُ
وَمَضَتْ جُيُوشُ الرُّومِ فِي الزُّحْفِ مُشْرِ * رَقَّةً تَدِبُ كَانَتْهَا فُتْرَانُ
وَلِيَعْضِبَهُمْ قَالُوا لَذَى مَضْرَاتِي * تَجِدُونَ مَا لَمْ يُخْصِصْهُ الْحُبَّانُ
لَكِنَّهُمْ لَمَّا اتَّوَفَّا فُوجَّشُوا * بِخِلَائِفِهَا وَاتَّهَمُوا الْأَحْزَانُ
لِذْ كُلُّ سَكَّانِ الشَّرِيطِ تَبَاعَدُوا * عَنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ الْخَبِيثِ وَضَانُوا
وَتَوَجَّهُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ * كُلُّ إِلَى جَهَّةٍ بِهَا أَطْبَشَانُ

القصيدة الرابعة

تتضمن الشوط الذي قام به عون سوف المحمودي في الزاوية الغربية من جهاد الليبيين في الطليان الفاشستين بعد تقضهم لصلح سواني بنيادم وهي من بحر الكامل أيضاً وقد تقدم أن أجزاءه «متفاعلن متفاعلن متفاعلن» مرتين .

- بَعْدَ انْتِقَاصِ الصُّلْحِ قَادَ الزَّوَانِيَةِ * عَوْنُ بْنُ سَوُوفٍ فِي الْحُرُوبِ التَّالِيَةِ
وَقَدْ اسْتَعَانَ بِتَامِسَكْتٍ^(١) فِي قِيَا * ذَبِهِ لَسَدَى تِلْكَ الظُّرُوفِ الْقَاسِيَةِ
وَعَلَيْهِمُ السُّطْلِيَانُ فِيهَا قَدْ هَجَمَ * وَمُنَاكَ قَدْ وَقَعَتْ مَعَارِكُ دَائِمَةٍ
قَدْ خَاضَهَا عَوْنٌ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ * لَنَكُنْهُ فَقَدْ الْأُمُورَ الْكَافِيَةِ
فَلِذَلِكَ انْسَحَبَ إِلَى الشَّرْقِ وَسَا * رَإِلَى السُّوَاغِي الْأَرْبَعِ الْمُتَوَالِيَةِ
وَبِهَا أَقَامَ وَضَارَ يَرْقُبُ خَالَةَ الْعَدَا * طَلِيَانٍ مِنْ تِلْكَ الْبَقَاعِ الرَّأِيَةِ
حَتَّى رَأَى مَا جُمِعَ السُّطْلِيَانُ فِي * تِلْكَ الْجِهَاتِ مِنَ الْجُيُوشِ الْفَاشِيَةِ
يَتَغَى بِهَا أَخَذَ الشَّرِيبَ السَّاجِلِي * فِي كَرَّةٍ بِالقُوَّةِ الْمُتَمَالِيَةِ
فَلِذَلِكَ انْسَحَبَ إِلَى تَرْهُونَةِ * وَلَا هِلْهَا قَالَ اخْرُجُوا لِلْبَادِيَةِ
وَبِهَا أَقَامَ زُمَاءَ شَهْرِ كَامِلٍ * حَتَّى تَحَرَّكَتِ الْجُيُوشُ الْعَادِيَةِ
وَأَذَلَّهَا سَعْدُونَ فِي السُّلْخِيَةِ * وَأَقَامَ فِي الْقَطَارَةِ الْمُتَشَائِيَةِ
وَمُنَاكَ قَدْ خَصَلَ اتِّصَالُ بَيْنِ سَعْدٍ * دُونِ وَعَوْنٍ فِي ظُرُوفِ قَاسِيَةٍ
وَتَوَافَقُوا زَايَاً عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا * مَنَافِيَهُ تَعْبِيلُ الْجُيُوشِ الْبَاغِيَةِ
غَنَ سُرْعَةَ الزَّخْفِ بِفِعْلِ كَمَائِنٍ * وَمُنَاوَشَاتٍ فِي الْبِلَادِ الْبَاقِيَةِ
وَبِذَلِكَ الْوَصْفِ قَدْ انْسَحَبُوا إِلَى * مِضْرَاتِهِ دُونِ مَعَارِكِ حَامِيَةِ
إِذْ مَنَاقِبِي عِنْدَ الْجَمِيعِ ذَخِيرَةٌ * فِي خَوْضِ مَعْرَكَةِ هُنَالِكَ كَافِيَةِ

(١) المراد به عبد الله تَمِسَكْت التُّرْكِي

القصيدة الخامسة

تتضمن الشوط الذي قام به سعدون السويحلي في مصراته من
جهاد الليبيين في الطليان الفاشستين بعد نقضهم لصلح سواني بنيادم
أيضاً وهي من بحر الكامل كذلك وأجزاؤه «متفاعلن متفاعلن متفاعلن»
مرتين .

بَعْدَ انْتِقَاصِ الصُّلْحِ فِي مِصْرَاتِهِ * قَادَ الْجِهَادَ مُحَمَّدٌ سَعْدُونُ
جِئْنَا رَأَى أَنَّ الْجِهَادَ تَغَيَّنَا * شَرَعَا وَأَوْجَبَهُ عَلَيْنَا الدِّينُ
وَحُقُوقُنَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ تَطَهَّرُ * أَيُّضاً بِهِ كَالشَّمْسِ جِئْنَا تَبِينُ
لَمَّا أَبَاهُ الْعَرَبُ عَنْ أَوْطَانِهِمْ * شَرْقاً وَغَرْباً حَلَّ فِيهِمْ هُونُ
وَتَسَلَّطَ الْمُسْتَعْبِرُونَ عَلَيْهِمْ * وَأَتَاهُمُ مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ حِينُ (١)
حَتَّى بِهِ قَامَتْ جَمَاعَةٌ لِيُنَا * مِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ لَيْسَ تَلِينُ
أَحْيَتْ جِهَاداً خَالِداً وَمُشْرِفاً * فِي مُدَّةٍ فِيهَا الْجِهَادُ ذَفِينُ
فَالْفَضْلُ فِي إِحْيَاءِ ذَاكَ لِأَهْلِيهَا * خُفَا وَمَنْ يُنْكِرُهُ فَهُوَ ضَعِيفُ
قَدْ عَلِمُوا الْعَرَبَ الْجِهَادَ وَجَدُّوا * تَارِيخَ أُمَّتِهِمْ وَزَالَ السَّرِينُ
مَامَاتَ مِنْهُمْ قَائِدٌ إِلَّا وَقَدْ * أَخَذَ الْإِقْيَادَةَ آخِرُ مَأْمُونُ
يُحْيِي الْبِلَادَ وَيَقْهَرُ الْأَعْدَاءَ فِي * صَفِّ الْقِتَالِ كَأَنَّهُ مَلِئُونُ
وَلِسْذَاكَ لَمَّا غَابَ عَنْ مِصْرَاتِهِ * رَمَضَانَ قَامَ مَقَامَهُ سَعْدُونُ
أَسَدُ الْعَرَبِينَ وَرَمَزَ كُلَّ بُطُولَةٍ * سَيْفُ الْقِتَالِ مُهَنَّدٌ مُسْنُونُ
فِي قَصْرِ أَحْمَدَ ثُمَّ فِي السُّلْخِيَّةِ * شَهِدَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ وَغُيُونُ
بِشَجَاعَةٍ صَارُوا بِهَا فِي خَيْرَةٍ * وَأَضَابَ أَكْثَرُ مَنْ رَأَاهُ جُنُونُ
وَكَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْمَشْرِكِ حِينَمَا * خَرَجَ الْعَدُوُّ وَغَرَّةَ الْقُلُوعُونَ

(١) (حين) بفتح الحاء وسكون الياء المراد به الموت كما لا يخفى .

۞ كَادَ يهْزِمُهُمْ وَيَمْحَقُ جَيْشَهُمْ ۞ قَتَلُوا وَلَكِنْ قَدْ أَنِصَاهُ الْبَجِينُ
 ۞ أَصِيبَ وَهُوَ عَلَى الْجَوَادِ يُقَاتِلُ ۞ بِرِضَا ضَا ضَةٍ مِنْهَا أَتَتْهُ مُنُونُ
 ۞ سَاكَ لَأَقَى رَبُّهُ بِشَهَادَةٍ ۞ نِيلُ السُّعَادَةِ عِنْدَهَا مَضْمُونُ
 ۞ ذُرْكَ قَائِدًا وَجَزَاكَ بِأَلْ ۞ خَيْرَاتٍ غُنَا اللَّهُ يَسْغُدُونَ

القصيدة السادسة

تتضمن الشوط الذي قام به عمر المختار في برقة من جهاد
اليبيين في الطليان الفاشستين بعد نقضهم لصلح سواني بنيادم وهي
من بحر البسيط وأجزاؤه «مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلمن» مرتين .

لَمَّا انْتَهَى شَوْطُ سَعْدُونِ وَتَأَيَّيْهِ * بِمَوْتِهِ قَدْ أَتَى شَوْطُ بِنِ مُخْتَارِ
فِي أَرْضِ بَرْقَةِ قَدْ قَادَ الْجِهَادَ وَكَا * نَ قُدُوءَ لِأُولَى الْإِخْلَاصِ لِلْبَارِي
قَدْ أَمَّهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ الْمَنَاطِقِ وَانْ * خَسُوا إِلَيْهِ لِأَخْذِ الْحَقِّ وَالشَّارِ
خَاضَ الْمَعَارِكَ حَتَّى لَقِيَ الْكَفَرَةَ * فِيهَا دُرُوساً تَزِيدُ الْعِلْمَ لِلْقَارِي
وَأَصْبَحَتْ قَادَةَ الرُّومِ بِلَا رَيْبٍ * يَخْشَوْنَ سُلْطَانَهُ فِي دَاجِلِ الدَّارِ
وَجَيْنَمَا عَجَزُوا عَنْ دَفْعِهِ جَمَعُوا * سَكَانَ بَرْقَةِ فِي عُقِيلَةِ الْفَارِ
وَحَاصَرُوهُمْ بِهَا فِي مَوْقِعٍ خَرَجَ * مُطْلُوقٍ بِجُيُوشٍ ثُمَّ أَسْرَارِ
بِحَيْثُ لَمْ يَتَقَبَّحْ جَيْشُهُ عُمُرُ * وَقُرُومُهُ مِنْهُمْ بِمَذْدِ جَارِ
وَلَمْ يَجِدْ مَدَدًا مِنْ خَارِجِ الْوَطَنِ * بِأَيِّ إِلَيْهِ وَلَوْ أَقْلُ بِمُقْدَارِ
لِذَاكَ ضَارَ عَلَى الدَّوَامِ يَرْقُبُهُمْ * ثُمَّ يُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ وَقْتُ اسْتِحَارِ
وَجَيْنَمَا جَاءَ يَوْمًا لِلْمُرَاقَبَةِ * وَلَمْ يُرَافِقْهُ إِلَّا بَعْضُ أَنْصَارِ
رَأَاهُ بَعْضُ الْجَوَاسِيْسِ فَأَخْبَرَهُمْ * فَعَارَضُوهُ لَسَدَى الرَّجُوعِ بِالنَّارِ
مِنْ قَسْوَةِ قَسَدَرِهَا الْفَنَانِ مَعَ مِيَاثَةِ * وَلَيْسَ مَعَهُ بِسُورِ خَمْبِينَ أَبْرَارِ
فَدَافَعُوا وَنَجَّاهُ الْبَعْضُ وَقَدْ هَلَكَا * أَكْثَرُهُمْ مِنْ رِصَاصِ مِثْلِ أَمْطَارِ
وَانْكَسَرَتْ يَدُ ذَاكَ الْقَائِدِ الْبَطْلِ * وَمَاتَ مِنْ تَحْتِهِ جِسَادُهُ الْجَارِي
فَالَ لِلْأَسْرِ ثُمَّ الْقَتْلِ وَانْكَسَفَتْ * شَمْسُ الْجِهَادِ لَدَى مَوْتِ بِنِ مُخْتَارِ

القصيد السابعة

تتضمن ما قام به الليبيون في المهجر بعد انتهاء المقاومة في ليبيا وهي من بحر الخفيف وأجزاؤه «فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن» مرتين.

- نَقِذَ الرُّزَادُ وَالسُّجَيْرَةُ وَالصُّبْبُ * رُلْدَى مَرُوتَ عُمَرَ الْمُخْتَارِ
- وَتَفَرَّقَ شُعْبَانَا فِي جَهَنَاتِ * مَتَفَسِّدَةً مِنَ الْأَقْسَاطِ
- بَعْدَ أَنْ قَامَ الْعَدُوُّ زُهَاءً * رُبِعَ قَرْنٍ بِشِدَّةٍ وَاضْطِطَارِ
- وَتَوَلَّى الْكَفَّاحُ فِي ذَلِكَ الْوَقْدِ * بَ أَوْلُوا الْإِتْبَاهِ وَالْأَقْبَازِ
- فِي الصُّخَائِفِ وَالنَّوَادِي وَكُلِّ * مَجْلِسٍ خَابِثٍ جَدِيدٍ وَطَارِي
- وَأَسْتَمَرُوا إِلَى أَنْ انْتَشَبَ الْخَسْرُ * بَ الْعُمُومِي الْأَخِيرُ بِالْإِنْفِجَارِ
- فَهَذَاكَ نَارَ شُعْبِي عَلَى الرُّو * مَ لِسَرْدِ الْحُقُوقِ وَالْإِغْيَارِ
- وَتَحَرَّكَتِ السَّرِيحُ وَهَبَتْ * بَنِيمِ الْأَفْرَاحِ وَالْإِتْقَارِ
- وَأَتَتْ لِلْعَدُوِّ نَارَ حُرُوبٍ * مِنْ جَهَنَاتٍ كَثِيرَةٍ بِالسَّانِثَارِ
- أَكَلْتُ كُلَّ مَالِهِ مِنْ غَنَادٍ * وَرَمْتُهُ بِالدُّلِّ وَالْإِنْكَارِ
- شَارَكْتُ فِيهَا لَيْتِيَا الْحَلْفَا * كَيْ تَنَالَ الْحُقُوقُ فِي الْإِتْقَارِ
- وَبِهِ قَسِدَ شَفَتْ غَلِيلَ الْفَوَادِ * فِي الْعَدُوِّ بِضَرْبِهِ فِي الدَّيَارِ

القصيد الثامنة

تتضمن ماقام به اللييون من محاربة الطليان بعد انتشاب
الحرب العالمية الثانية وهي من بحر الوافر وقد تقدم أن أجزاءه
«مفاعلتن مفاعلتن فعولن» مرتين.

- عَدُوُّ اللَّهِ قَدْ أَصْبَحْتَ تَجْرِي * وَلَا تَسْذِرِي وَلَا تَسْأَتِي بِفَكْرِ
- أَلَمْ تَعْلَمْ بَلَّانُ اللَّهِ عَدْلُ * يُجَازِي كُلَّ ذِي ظُلْمٍ وَمَكْرِ
- فَلَيْسَ جَزَاءُ مَا عَمِلْتَ يَذَاكَ * بِسَوَى نَارٍ تَطْهَرُ مِنْكَ بِرَى
- وَقَدْ أَنْ الْأَوَانُ فَنِيكَ شَاطَتْ * حُرُوبُ الْجَنَائِكَ إِلَى الْمَقْرِ
- وَقَدْ مُزِمْتَ جُيُوشَكَ بِأَنْهَارٍ * فَضِيعَ جَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ كُشْرِ
- فَأَفْلَتَ بَعْضُهُمْ وَلَهُ حُصَاةٌ * وَبَعْضُ مَاتَ وَابْتَعْضُ بِأَسْرِ
- وَمِمْرَتْ تَجْرُ أَذْيَالُ الْهَزِيمَةِ * بِكُشْرِ لَمْ تَضْمُدْهُ بِجَبْرِ
- وَتَجْمَلُ قُرُوقُ رَأْسِكَ مَا حَمَلْنَا * بِبُخْرِيْنَا عَلَى رَأْسٍ وَظَهْرِ
- فَتَحَمَدُ رَيْثَا لَمَّا رَأَيْتُكَ * بِعَيْنِي الْآنَ فِي ذُلٍّ وَقَهَرٍ
- زَعَمْتَ بَلَّانُ وَصْفِكَ وَصَفُ لَيْثٍ * وَوَصْفُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَصَفُ نَارٍ
- فَقَدْ كَذَبْتَ عَلَيْكَ النَّفْسُ حَتَّى * غَلِطْتُ وَقَدْ طِيعْتُ بِفِكَ بِضَرٍ
- وَحَرَكْتُ الْأَسْوَدَ إِلَيْكَ حَتَّى * أَتْرُكَ وَلَا نَجَاةَ بِسَوَى الْمَقْرِ
- فَيَسِرْ لِإِطْلَائِيَا وَمَنْ الْغَنَمَةِ * تَعْرُضُ بِالْإِيَابِ إِلَى الْمَقْرِ
- أَقُولُ لَكَ ارْتَجِلْ وَأَتْرُكَ بِلَادِي * عُمُومًا وَآخِرُجْنَ مِنْهَا بِذَخْرِ
- وَفِرْ بِخُسْرَةٍ وَأَذْهَبْ بِخُسْرِي * كَمَا ذَهَبَ الْجِمَارُ بِأَمٍّ غَمْرِي
- فَلَا رَجَعْتُ وَلَا رَجَعَ الْجِمَارُ * وَانْتَ فَلَا رَجَعْتُ لِيَوْمٍ خَشَرِي

القصيدة التاسعة

في جلاء الطليان من ليبيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية
وهي من بحر البسيط وقد تقدم أن أجزاءه «مستفعلن فاعلن مستفعلن
فاعلن» مرتين.

- قَدْ فَرُّ مِنْ لِيبيَا الطُّليَانُ مُنْهَرِمًا • مِنْ بَعْدِ حَرْبٍ طَوِيلٍ دَامَ فِي لَهَبٍ
خَمْسًا وَعِشْرِينَ غَامًا مَعَ ثَمَانِيَةٍ • وَيَتَعَذَّبُهَا بِنَاءٌ لِلْفِرَارِ وَالْهَرَبِ
وَقَدْ فَرَّخْنَا وَلَكِنْ لَمْ يَدُمْ فَرْحُ • حَيْثُ أَنْتَ بَعْدَهُ خُمَالَةُ الْحَطَبِ
فِي جِيدِهَا بِلَكَ مِنْ أَسْرَةٍ عُرِفَتْ • بِحُيُوتِهَا انْقَلَّتْ مِنْ سَالِبِ الْجَفِ
فَارْغَمْتُ شَعْبَنَا عَلَى قُبُولِهِمْ • لِيَذِلَّكَ الْمَلِكُ الْمَدْعُورُ بِالذُّنْبِ
وَرَبَطْتُ لِيَسَاءَ بِهِ وَقَدْ حَكَمْتُ • كَمَا تَشَاءُ عَلَيْهِ دُونَ مَا تَعِبُ
وَسَجَنْتُ كُلَّ مَنْ عَارَضَ رَغْبَتَهَا • فِيمَا أَرَادَتْهُ مِنْ حُكْمٍ وَمِنْ طَلَبِ
وَمِنْ زُبَانِيَةٍ جَاءَتْ بِهِمْ فَرَضُوا • حَمَلَ الْوِزَارَةَ وَالتَّسْوِيبَ وَالرُّتَبَ
وَقَدْ سَجَنْتُ مَعَ الَّذِينَ قَدْ سَجَنُوا • فِي سِجْنٍ «بِينْتُو» فَاشْتَقَلْتُ بِالْكُتُبِ⁽¹⁾
وَقُلْتُ يَا حَبِذَا السُّجْنُ أَحَبُّ لَنَا • مِنَ الْخُضْرُوعِ إِلَى غَدْوَةِ الْغَرْبِ
وَصِيرْتُ بَعْدَ خُرُوجِي فِي نَظَارَتِهَا • خَمْسَ بَنِينَ لَسَدَى خَضِرٍ وَمُسْرَتَقِبِ
ثُمَّ اسْتَسْرَاخْتُ فَكَفْتُ عَنْ رَقَائِيثِنَا • وَظَلَمْتُ الشُّعْبَ قَدْ مَاتَ مِنَ الرُّهْبِ
فَعِنْدَ ذَلِكَ هَبَّ الشُّعْبُ وَانْفَجَرَ • لَيْلًا بِجَيْشٍ يُخَاكِي مُمَطَّرَ السُّحْبِ
وَجَاءَهَا فَرَمَى بِهَا وَبِالْمَلِكِ • وَيَسَالِ زُبَانِيَةَ الْحُكَامِ بِالكَذِبِ
وَبِالْحَلِيفَةِ أَمْرِيكَ وَجَالِيَةِ الطِّ • طُليَانٍ فِي لُجَجِ الْبَحْرِ بِلَا عَجَبِ
وَفِي دَقَائِقٍ قَدْ دَقَّتْ رِقَابُهُمْ • وَأَصْبَحُوا فِي سَعِيرِ النَّارِ كَالْحَطَبِ
وَاللَّهُ قَدْ نَصَرَ الْحَقَّ وَقَدْ كَسَرَ • كُلَّ الثُّغَارِ وَبَاءُوا مِنْهُ بِالْغَضَبِ

(1) (بِينْتُو) كلمة أجنبية تطلق على سجن معروف في مدينة طرابلس.

وَانْقَشَعَتْ ظُلُمَةُ الظُّلَمِ وَقَدْ خَرَجُوا * مِنْ لَيْسَا فُونَمَا رَبِّحَ وَمُكْتَسَبِ
وَرَدَّ جَنَاحِي شَعْبِي كِرَامَتُهُ * وَنَالَ حُرِّيَّةً أَصْفَى مِنَ الذُّهَبِ
وَمَعَهَا كُلُّ امْرِئٍ هَيِّنٌ أَبَدًا * حَتَّى وَلَوْ كَانَ فِيهِ شِدَّةُ التُّعَبِ

القصيدة العاشرة

في جهاد مصراته وأدلتة وبراهينه وهي من بحر الكامل وقد تقدم
أن أجزاءه «متفاعلن متفاعلن متفاعلن» مرتين .

- مِصْرَاتُهُ ذَاتُ الرُّمَالِ بِلَادِي * قَدْ جَاهَدْتُ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِي
كَمْ جَاءَ لِلطُّلَيْحَانِ مَرْزَمٌ وَاضِحٌ * مِنْهَا وَتَأَلَّوْا أَكْبَرَ الْإِنْكَادِ
شَهِدْتُ بِهِ ضُبَاطَهُمْ وَجُنُودَهُمْ * وَالْحَقُّ مَا شَهِدْتُ بِهِ الْإِعَادِي
قَدْ خَارَبْتُ فِي لَيْثِيَا مِنْ غَرْبِهَا * حَتَّى إِلَى الشَّرْقِ بِدُونِ مَوَادِي
وَصَحَائِفُ التَّارِيخِ قَدْ خَفِظَتْ لَهَا * اسْمِي جِهَادِ رَغْمَ كُلِّ مُعَادِ
مَا كَانَ يَخْفَى خَرِبُهَا وَجِهَادُهَا * إِلَّا عَلَى وَغْدٍ مِنَ الْأَوْغَادِ
بَلْ خَارَبْتُ حُكَّامَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ * حَتَّى لَدَى اسْتِعْمَارِهِمْ لِبِلَادِي
فَبَاتَ قُبُولُ صَحِيفَةِ الْجَنِيَّةِ * مِنْهُمْ بِسَرَفٍ كَامِلٍ وَعِنَادِ
وَأَتَتْ بِمَا قَدْ حَيَّرَ الْأَفْكَارَ مِنْ * حُكَّامِهِمْ خَالَ اجْتِمَاعِ النَّادِي
وَقَدْ اسْتَمَرَّتْ فِي مَقَاوِمَةِ الْعِذَا * فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالسَّلَاحِ الْعَادِي
حَتَّى تَطْهَرُ شَعْبُهَا الْآنَ وَنَا * لَ حَقُوقِهِ رَغْمًا عَلَى الْإِعَادِي
وَجَلَا الْأَجَانِبُ عَنْ تُرَابِ بِلَادِنَا * وَتَطْهَرْتُ بِمَنْ أَتَوْا لِجِلَادِي
لَكِنَّهُمْ أَبْقَوْا لَدَيْنَا بِرُزَّةً * قَدْ أَمْعَتْ فِي النَّهْبِ وَالْإِنْسَادِ
وَقَضَتْ عَلَى حُكَّامِنَا بِالرُّشُوءِ * وَالْخُمْسِ وَالتَّفْكِكِ وَالْإِلْحَادِ
يَارِبُ أَهْلِكْهَا وَعَجِّلْ بِالْخَلَا * صِرْ لِشَعْبِنَا مِنْ شَرِّهَا يَا هَادِي
وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ ذَلِكَ جِئْنَا * فَكَاثَ عَلَيْهِمْ ثَمْرَةُ الْأَوْلَادِ
وَرَمْتُهُمْ فِي الْبَحْرِ زَمَنَ كُنَاسَةٍ * بَقِيَتْ مِنَ الرُّومِ بِسَوْسَطِ بِلَادِي
وَمَضَوْا إِلَى رُومَا فَلَا رَجْعُوا وَلَا * رَجَعَ الْجِنَارُ بِهِمْ لِهَذَا الْوَادِي

١ - قصيدة تشتمل على تأمر الغربيين على العرب والمسلمين وهي :

قَدْ خَاوَلَ الْغَرْبُ^(١) بِكُلِّ وَبِيلَةٍ * مِنْ غَابِرِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ
أَنْ يَضْرِبُوا الْغَرْبَ^(٢) بِأَقْوَى ضَرْبَةٍ * تَبْقِيهِمْ مَوَكَّالِبَكُمْ وَالْعُنْيَانِ
لَكِنَّهُمْ رَغَمَ الْعَوَاصِفِ كُلِّهَا * لَمْ يَلْحَقُوا ضَرْبَ أُولَى الْإِيْمَانِ
إِلَّا لَدَى الْخَرْبِ الْعُمُومِيِّ الْأَوَّلِ * وَزَوَالِ سُلْطَنَةِ بَنِي عُثْمَانَ
فَهَنَّاكَ ضَارَ الْغَرْبُ مَعَ أَوْطَانِهِمْ * فِي قَبْضَةِ الرُّومِ بِسَلاَ فُرْسَانِ
فَتَصَرَّفَ الْأَعْدَاءُ فِيهِمْ كَيْفَمَا * شَاءُوا مِنْ التَّقْسِيمِ لِلْبِلْدَانِ
بِإِيْسَانَةٍ بُنِيتْ عَلَى مَقَالَةٍ * مَتَّفَلَفَ لِاسْتَكْنَازِ الْيُونَنَانِ
وَنَسَرُوا فَلَسْطِيزَ وَلَكِنْ أَرْجَوْا الْإِلَ * أَمَرَ إِلَى الْخَرْبِ الْعُمُومِيِّ الثَّانِي
لَمَّا انْقَضَى زُفُوهُ إِلَى عُمَلَانِهِمْ * مَلَكَئَةً فِي بِلْكَكُمْ الْأَوْطَانِ
وَعَلَيْهِمْ اشْتَرَطُوا بِأَنْ صَدَاقَهَا * نَرْكَ فِلَسْطِيزَ إِلَى الْفَيْزَانِ
فَلِذَاكَ جُلُّ مُلُوكِنَا قَدْ أَصْبَحُوا * فِي شَأْنِهَا دَوْمًا مِنَ الْخَوَانِ

لَسَوْلا الْجَمَاهِيرَ وَثَوْرَةَ يُوسُفَ * لَقَضُوا عَلَيْهَا الْأَمْرَ فِي الْمِيدَانِ
لَكِنْ رَبُّ الْيَتِّ سَخَّرَ مِنْ أَطْمَا * خَ بَيْتُضِهِمْ فِي أَسْرَعِ الْأَزْمَانِ
وَتَنَقَّلَ الْحُكْمُ لِجُمْهُورِيَّةٍ * شَعْبِيَّةٍ بَجَمَالِهَا الْفَتَانِ
مِنْ حِينَ بَانَ أَبَانٌ لِلْجُمْهُورِ أَنْ * نَ مُلُوكُهُمْ كَانُوا مِنَ الْخَوَانِ

(١) الغرب - بفتح الغين المعجمة، وسكون الراء - المراد بهم: أهل الدول الغربية.

(٢) العرب - بضم العين المهملة، وسكون الراء - لغة في العرب كما لا يخفى.

وَذَعَا بَنِي الْعَرَبِ إِلَى أَنْ يَرْفُضُوا • * رَأَى الْمَلُوكَ مُجَاهَةً ذَاكَ الشَّانِ
 فَأَجَابَهُ الْكُلُّ بِرَفْضٍ جَمِيعٍ مَا • * رَضِيَ الْمَلُوكُ بِهِ مِنْ التَّذْيَانِ
 وَانْتَضَمَ جُلُ بَقِيَّةِ الرُّؤَسَا إِلَى • * فَكَّرَ جَمَالٍ صَاحِبِ الرُّجْحَانِ
 وَمُنَاكَ قَدْ قَبِلَ الْمَلُوكُ وَاصْبَحُوا • * فِي الْخَوْفِ مِنْ غَرَقٍ وَمِنْ طُوفَانِ
 لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَيَّأَسُوا، وَلِسَدَاكَ قَدْ • * سَلَكُوا طَرِيقَ الْمَكْرِ وَالْخِذْلَانِ
 حَتَّى تَوَازَى بِالْجَبَابِ جَمَالٌ عَنْ • * دُنْيَا الْكَفَّاحِ وَسَارَ لِلرُّحْمَانِ
 وَأَتَى لِمَضَرٍّ - مُنَاكَ بَغْلٌ أَسْوَدُ • * دَاتَاً وَأَفْعَالَاً وَنُطْقَ لِسَانِ
 تَرَكَ الصُّوَاتَ وَعَانَقَتْ أَفْكَارُهُ • * فَكَّرَ الْمَلُوكَ وَزَادَ بِالْإِعْلَانِ
 حَتَّى بِهِ قَدْ قَارَبُوا أَنْ يَجْعَلُوا • * أَحْلَامَهُمْ فِي حَيْزِ الْوَجْدَانِ
 وَمَضَى بِفَسَاحِ الْمُخْلِصِينَ بَفْضِهِ • * وَبِضْدَ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانِ
 وَأَزَالَ أَتْنَاءَ الْكِتَانَةِ رَأْسَ ذَا • * لِكَ الْبَغْلِ يَوْمَ الْحَفْلِ فِي الْمَيْدَانِ
 وَبِهِ تَزَايَدَ خَوْفُ أَصْحَابِ الْعُرُو • * شَرِّ مِنَ الْجَنَاهِيرِ لَذَى الْغُلْيَانِ
 وَتَحَقَّقُوا أَنَّ الَّذِي قَدْ خَانَ لَا • * يَتَّقِي رَئِيسًا عِنْدَ أَهْلِ الشَّانِ

2 - قصيدة تتضمن ترغيب العرب في الوحدة

وهي :

في وحدة العرب إرهاب المغابينا * وقوة تحرر الأوطان والدينا
وتجعل العرب في أوطانهم سعدا * وتبين أعدائهم ذوما مهابينا
وعسايلين بما المولى به أمرا * فيما به قد أتى خير النينا
قاله قال: أعدوا دائما أبدا * من قوة ما استطعتم للظلوبينا
والكافرون هم الظلام قد ثبا * هذا ينصر كتاب الله بارينا
وكلنا لم نزل من الخليج إلى الـ * محيط يطلبها وهي أمابينا
لا سيما بعد أن تآمرت دول الـ * غرب علينا بتأييد الحقودينا⁽¹⁾
وأظهرت جحدها - لنا زعيمته⁽²⁾ * فزرعت بينا القوم الملاعين⁽³⁾
وسلطتهم وقد قامت بقوتها * على جناباتهم من قبل أيدينا
وطعنت بهمس العرب لثقتهم * لكنها وجدتهم لا يمشوننا
وغرما ما رأيت في نقد وحدتنا * من انحطاط أماننا من مابينا
فزعمت أنها تنال بغيتها * بنا بذلك ولم تخبر مابينا
لكنها لم تل شيئا وقد خيرت * وأطلقا الله ما قد أوقدت فينا
وانقلب الأمر في ذلك لصالحنا * وضار جمل بيننا وحذوينا
وعزفوا جيل الأعداء قاطبة * وما يريدهونه لنا ويتغونا
يتغنون فتتنا وموت وحدتنا * ونهب أوطاننا وجهلنا الدينا
مالي أزي سادة العرب لها عضلوا * منع عليهم أنها خير لأهلينا
وأنها سهلة الحصول لو حسنت * يثأرتهم وسفروا فيها مجدينا

(1) الحقودينا: هم اليهود الملاعين.

(2) زعيمته: المراد بها: أمريكا.

(3) القوم الملاعين: هم اليهود؛ لأن الله لعنهم في القرآن. كما لا يخفى.

وَأَثَرُوا كُلُّ مَا يَزِيدُ أُمَّتَنَا * عِزًّا وَفِي الْأَرْضِ تَمْكِينَا وَتَأْمِينَا
 بَلْ بَغَضُهُمْ ضَارَ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا أَبَدًا * وَقَالَ: بَعْدَ الصُّحَابِ لَيْسَ تَأْتِينَا
 وَالْبَغْضُ قَالَ: ظُرُوفُ الْعَرَبِ تَمْنَعُهَا * حَتَّى وَإِنْ أَمَكْنَتْ غَفْلًا وَتَخِينَا
 وَالْبَغْضُ خَارِبٌ مَنْ قَدْ قَامَ يَطْلُبُهَا * وَقَدْ أَصْرُ عَلَى ضِدِّ الْعُلَيْنَا
 وَمَعَ هَذَا فَلَا غُرُورَ إِذَا سَنَحَتْ * فُرْصَةً وَخَذِينَا عَادَتِ كَمَا ضَمِينَا
 وَفَهَرَتْ كُلُّ مَنْ عَادَى وَخَارِبَتْهَا * وَضَيَّرَتْهُ مِنَ الْقَوْمِ الْأَذْلَيْنَا
 وَغَادَ لِلْمُؤْمِنِينَ عِزٌّ وَخَذَبَتِهِمْ * إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ وَالْأَدِينَا
 رَفَعَاتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْوَطَنِ * صَفًّا وَضَارُوا جَمِيعًا وَخَذَبِينَا

مصادر ومراجع الكتاب

- 1 - جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، للطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الأولى سنة 1950م، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- 2 - رمضان السويحلي، لمحمد مسعود فشيكة، ط - الفرجاني طرابلس - ليبيا.
- 3 - سعدون - البطل الشهيد - لعلي مصطفى المصراتي ط - دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا.
- 4 - نحو فزان، لرودولفو جراتزياني، تعريب: طه فوزي، ط - الفرجاني طرابلس ليبيا 1970م.
- 5 - معجم معارك الجهاد في ليبيا - لخليفة محمد التليسي ط / الدار العربية للكتاب 1983م.
- 6 - كُنْاشَة منقولات بخط المؤلف محمد قريو.
- 7 - معلومات محفوظة في ذهن المؤلف أيضاً.
- 8 - كتاب الشيبة الفاشستية، لشباب الليتوريو.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاهداء	5
مقدمة الكتاب	9
[المرحلة الأولى]	
واقعة يوم احتلال المواطنين	13
واقعة الرميلة	16
واقعة يوم الشبيط	21
واقعة رأس أبي غولة	25
تتمة المرحلة الأولى	27
[المرحلة الثانية]	
واقعة السرويل	31
واقعة رأس الطوبة	33
واقعة سبخة بوفار (أم الغنائم)	34
واقعة جرف المقاصبة	39
جلاء الطليان عن مصراته	42
تتمة المرحلة الثانية	43

[المرحلة الثالثة]

47	واقعة يوم التزول
50	واقعة حيشان الحزيبات
54	واقعة يوم السبت
57	ملحق لمعارك قصر حمد
59	واقعة السلحية
62	واقعة وادي اكعام
68	ملحق لمعارك السلحية، والحمام، ووادي اكعام
76	معركة المشرك
86	جثمان سعدون ودقنه
88	ملحق لمعركة المشرك
90	واقعة العوكلي ونقطة المحجوب
96	معركة الكراريم
101	ملحق لمعركة الكراريم
104	ما ترتب على مفاجأة العدو للسدادة
105	تتمة المرحلة الثالثة
113	خاتمة المراحل الثلاثة
115	(فائدة) في وقوف مصراته ضد الجنسية
123	(تنبيه) في فظائع الإستعمار الإيطالي في ليبيا
129	(تنبيه) في سقوط إيطاليا وخروجها من ليبيا

(القصائد العشرة)

في جهاد الليبين ومقاومتهم للطلليان الفاشستين

(القصيدة الأولى) تتضمن جهاد الليبين في الطليان

133	الفاشستين بقيادة أعضاء مؤتمر غريان
-----	--

- ملحق القصيدة الأولى يتضمن رفض الليبين لصلح أوشي 135
(القصيدة الثانية) تتضمن جهاد الليبين في الطليان
- الفاشستين بقيادة سالم عبد النبي الزنتاني 136
(القصيدة الثالثة) تتضمن جهاد الليبين في الطليان
- بقيادة رمضان السويجلي 137
(القصيدة الرابعة) تتضمن الشوط الذي قام به عون سوف الحمودي
في محاربة الطليان بالزاوية الغربية بعد نقض صلح
- سواني بنيادم 135
(القصيدة الخامسة) تتضمن الشوط الذي قام به سعدون السويجلي في
محاربة الطليان بمصراته بعد نقض صلح سواني بنيادم 140
(القصيدة السادسة) تتضمن الشوط الذي قام به عمر المختار
في محاربة الطليان ببرقة 142
(القصيدة السابعة) تتضمن ما قام به الليبيون
من الجهاد في المهجر 143
(القصيدة الثامنة) تتضمن ما قام به الليبيون من محاربة
الطليان بعد انتشاب الحرب العالمية الثانية 144
(القصيدة التاسعة) في جلاء الطليان من ليبيا 145
(القصيدة العاشرة) في جهاد مصراته وأدلتة وبراهينه 147
قصيدة تشتمل على تأمر الغربيين على العرب والمسلمين 148
الثانية قصيدة تتضمن ترغيب العرب في الوحدة 150
مصادر ومراجع الكتاب 153



General Organization of the Alexandria Library (UDAL).

General Organization of the Alexandria Library (UDAL).

مطبعة الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

مصراتة - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

ص ب 17459 مبرق (تلكس) 30098 مطبوعات





الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
مصراتة الجماهيرية العظمى